Humanities and Educational Sciences Journal
ISSN: 2617-5908 (print)
مجلة العلوم التربوية والدراسات الإنسانية
ISSN: 2709-0302 (online)



تفسير سورة الذاريات، لمحمد بن أبي القاسم البقالي (ت٥٦٢هـ) تحقيقًا ودراسةً(*)

د/ سمير عبدالمحسن عابد الفارسي
أستاذ مساعد بقسم الكتاب والسنة
كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى
المملكة العربية السعودية
safarsi@uqu.edu.sa

*) تاريخ تسليم البحث 26/11/2025 تاريخ قبوله للنشر 13/12/2025
*) موقع المجلة: http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index

تفسير سورة الذاريات، لمحمد بن أبي القاسم البقالي (ت٥٦٢هـ) تحقيقًا ودراسةً

د/ سمير عبد المحسن عابد الفارسي
أستاذ مساعد بقسم الكتاب والسنة
كلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى
المملكة العربية السعودية

الملخص

تناول هذا البحث: (تفسير سورة الذاريات، لمحمد بن أبي القاسم البقالي (ت٥٦٢هـ): تحقيقًا ودراسةً)، وقد جعلته على قسمين؛ الأول: قسم الدراسة، وتناولت فيه المؤِّلف والمؤلَّف، ففيما يخص المؤلِّف؛ وضحت فيه: اسمه، ونسبه، ومكانته العلمية، وثناء العلماء عليه، ثم وفاته، وفيما يخص المؤلَّف؛ وضحت فيه: عنوان تفسيره، وتوثيق نسبته إلى مؤلِّفه، والنسخة الخطية للكتاب، وهي نسخة وحيدة كتبت بخط المؤلف، وعليها الاعتماد، وأما القسم الثاني: فهو تحقيق النص، وقد سلكت في تحقيقه المنهج العلمي المتبع في التحقيق. ويهدف البحث إلى إبراز التراث العلمي لعلماء الأمة السابقين، وإيضاح جهودهم في خدمة كتاب الله تعالى، والوقوف على معاني الآيات البينات في تفسير سورة الذاريات. وقد خرج البحث بعدد من النتائج، وأهمها: جمع البقالي في تفسيره بين النقل والعقل، والتعرض للقراءات، والاستشهاد بالأحاديث، والأبيات الشعرية، كان البقالي إمامًا في التفسير، وحجة في لغة العرب وآدابها، حوى تفسير البقالي علومًا شتى، وهذا دليل على غزير علمه، وبراعته وإتقانه، لم يخل تفسير البقالي من تأثر المؤلف بشيخه الزمخشري في مسائل العقيدة فقد نحا نحوه، وسار على أثره.

الكلمات المفتاحية: سورة الذاريات، تفسير القرآن، البقالي، التحقيق.

Tafsir of Surah al-Dhariyat by MOHAMMED IBN ABI ALQASIM ALBAQQALI (D. 562 H): Critical Edition and Study

Dr. Samir Abdulmohsen Abed Alfarsi
Assistant Professor, Department of Qur'an and Sunnah
College of Da`wah and Fundamentals of Religion
Umm Al-Qura University, Kingdom of Saudi Arabia

Abstract

This research examines the ***Tafsir Of Surah Al-Dhariyat By Mohammed Ibn Abi Al-Qasim Al-Baqqali*** (D. 562H): Critical Edition and Study. The study comprises two sections: The first section addresses the author and his work. Regarding the author, it clarifies his name, lineage, scholarly standing, scholars' praise of him, and his death. Concerning the work, it establishes the title of his exegesis, authenticates its attribution to the author, and describes the manuscript—a unique autograph copy upon which this edition relies. The second section presents the critical edition of the text, following established scholarly methodology in textual criticism. The research aims to highlight the scholarly heritage of early Muslim scholars, elucidate their contributions to serving the Qur'an, and explicate the meanings of verses in Surah al-Dhariyat. The study yields several findings, most notably: al-Baqqali integrated transmitted and rational approaches in his exegesis, addressed variant readings (qira'at), cited hadiths and poetry, and demonstrated mastery in Qur'anic interpretation and Arabic linguistics. His tafsir encompasses diverse disciplines, evidencing his profound erudition and scholarly excellence. However, al-Baqqali's exegesis reflects his teacher al-Zamakhshari's influence on certain creedal matters, following his methodology and approach.

Keywords: Surah al-Dhariyat, Qur'anic Exegesis, Al-Baqqali, Critical Edition.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وسيد المرسلين نبينا محمد وعلى آله، وصحبه أجمعين.

فقد أكرمنا الله سبحانه وتعالى بأن جعلنا خير الأمم، وأرسل إلينا خير الرسل، وأيده بالمعجزة الخالدة الباقية إلى يوم القيامة؛ ألا وهو القرآن الكريم، فعجز العرب عن معارضته مع أوتوا من الفصاحة والبيان، فما كان منهم إلا الخضوع والإذعان، انبهارًا ببلاغته وفصاحته حتى قال قائلهم: إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه ليعلو ولا يعلى عليه، فإن كان ذلك رأي المكذبين الكافرين عن كتاب رب العالمين، فكيف يكون حال المؤمنين الصادقين، فقد اعتنوا بهذا الكتاب جيلًا بعد جيل، فلم يبرح العلماء من انكبابهم على كتاب ربهم، تلاوةً وتدبرًا وتفسيرًا، يحاولون جاهدين بيان معانيه وكشف أسراره، وتقريب مقاصده، ليبقى هاديًا للقلوب، ومرشدًا للعقول، ودستورًا للحياة، حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

ومن تراث علمائنا السابقين كتاب (مفتاح التنزيل) لزين المشايخ محمد بن أبي القاسم بن بابجوك البقالي، (ت٥٦٢هـ)، وقد وقعت بين بيديَّ قطعةٌ من هذا المخطوط القيم، وهي تفسير سورة الذاريات، فعزمت على تحقيقها، ونشرها خدمة للدين، ومساهمة في إحياء تراث المسلمين، سائلًا الله التسديد، والتوفيق، والتمكين.

أهمية موضوع البحث:

وهي تتضح في الآتي:

١ – إن هذه القطعة من الكتاب المتضمنة لتفسير سورة الذاريات، لم يتم تحقيقها من قبل، كحال الكتاب كله، فلم يزل مخطوطًا، وكما أن جزءً كبيرًا منه مفقود.

٢ – القيمة العلمية لهذا التفسير، وأقدميته فهو يعود إلى القرن السادس الهجري.

٣ – مكانة المؤلف العلمية، فهو أحد أبرز تلاميذ الزمخشري، وخليفته، لكن مؤلفاته لم يكتب لها الذيوع والانتشار ككتب شيخه.

٤ – المساهمة في نشر التراث الإسلامي، وإبراز جهود العلماء السابقين في التفسير.

أسباب اختيار البحث:

هناك أسباب كثيرة دفعتني لاختيار هذا البحث، وأهمها:

١ – الرغبة في خدمة هذا النص التفسيري المغمور.

٢ – الجمع بين التحقيق والدراسة العلمية، من خلال إبراز منهج البقالي في التفسير، وبيان مصادره.

٣ – خدمة كتاب الله تعالى، وابتغاء مرضاته.

أسئلة البحث:

يجيب البحث عن التساؤلات الآتية:

١ – ما اسم تفسير البقالي، وما صحة نسبته لمؤلفه؟

٢ – ما سيرة مؤلِّف الكتاب، ومكانته العلمية، وآثاره؟

٣ — ما أبرز معالم منهج البقالي في التفسير، ومصادره؟

أهداف البحث:

١ – التعريف بتفسير البقالي، والتحقق من صحة نسبته إليه.

٢ — إعطاء ترجمة موجزة للبقالي، وإبراز مكانته العلمية، وآثاره.

٣ – إيضاح أبرز معالم منهج البقالي في التفسير، ومصادره.

٤ – تحقيق تفسير سورة الذاريات للبقالي، وإخراجها بالصورة التي أرادها المؤلف.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والتقصي بالسؤال – حسب الإمكان – ومراجعة بعض قوائم الرسائل التي في المكتبات، والبحث في فهارس الرسائل العلمية، لم يتسنّ لي الوقوف على مَن حقق هذا التفسير أو قام بطباعته، ونظرًا لكون المخطوط ناقصًا فقد اجتهدت في التقصي والبحث عن تكملته في فهارس المخطوطات حول العالم ما أمكن، فلم أعثر على ما يفيدني في ذلك، إلا بعض الأجزاء من بعض السور إلا أن الدكتور: ممدوح القحطاني، قد نشر بحثًا في مجلة (تبيان) للدراسات القرآنية، العدد (٣٩)، ١٤٤٢هـ – ٢٠٢٠م، من (ص ١٨٩– ٢٨٧)، بعنوان: (محمد بن أبي القاسم بن بابجوك البقالي (ت٥٦٢هـ). ومعالم منهجه في الموجود من تفسيره: مفتاح التنزيل)، وقد تناول فيه بإسهاب ترجمة المؤلف، وحقق فيها ودقق، واستوعب جل مؤلفاته، وفصل فيها، كما عرف بالكتاب واسمه، وحرر تسميته، وجمع فيها عددًا من النصوص والنقولات، ثم بعد ذلك عرف بمخطوطة الكتاب، وذكر أن لها نسختين فقط، ووصف كل نسخة، ثم ذكر مصادر المؤلف، وملامح تفسيره، ثم بين في فصل كامل منهجه في تفسيره مبتدئا بمنهجه في التفسير بالمأثور، ثم بيَّن بعد ذلك منهجه في اللغة، والعقيدة، والأحكام، ثم إعماله لقواعد التفسير، وترجيحاته، وردوده، ثم ذكر اهتمامه بعلوم القرآن في تفسيره، وهذا البحث متين، وجدير بالقراءة.

كما أن هذا البحث لا يشارك بحثي هذا إلا في قسم الدراسة – وقد استفدت منه كثيرًا – بينما بحثي هذا تحقيق للمخطوط في الموضع المذكور، وهو سورة الذاريات.

خطة البحث:

قسمتُ العمل في تحقيق المخطوط ودراسته إلى مقدمة، وقسمين رئيسين، وخاتمة.

المقدمة، وفيها: أهمية الموضوع، وسبب اختياره، وأسئلة البحث، وأهدافه، والدراسات السابقة، وخطة البحث، ومنهجه.

القسم الأول: الدراسة، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: التعريف بالمؤلِّف، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: اسمه، ونسبه، ومولده، ونشأته.

المطلب الثاني: مكانته العلمية، وآثاره، وشيوخه وتلاميذه.

المطلب الثالث: معالم منهج المؤلف، ومصادره.

المطلب الرابع: ووفاته.

المبحث الثاني: **التعريف بالمؤلَّف (المخطوط)**، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: عنوان المخطوط، وتوثيق نسبته إلى المؤلف:

المطلب الثاني: وصف النسخة الخطية.

القسم الثاني: النص المحقَّق.

الخاتمة، وفيها أهم النتائج والتوصيات.

منهج البحث:

اتبعت في هذا البحث في قسم الدراسة المنهج الاستقرائي، والمنهج الوصفي، والتحليلي، بينما في قسم التحقيق ابتعت المنهج المتبع في تحقيق المخطوطات حسب الآتي:

١ – كتبت الآيات القرآنية برسم المصحف العثماني، مع تخريج الأحاديث من مظانها.

٢ – اعتنيت بنقل ما نص عليه المصنف، وما كان من ألفاظ النص غير المقروءة، فقد أضفت لها ما يناسب استقامة معنى الجملة أو العبارة متى ما لزم ذلك بالإفادة من مصادر ومراجع أصول الشافعية، مع تمييز اللفظ بين معكوفتين [ ] مع الإشارة في الحاشية.

٣ – أشرت إلى السقط أو التكرار، وما يحتمل الخطأ في الهامش.

٤ – اكتفيت بالإشارة إلى مظان المسائل في المراجع والمصادر المناسبة بغية الاختصار.

٥ – وثقت النقول والأقوال من مصادرها المعتمدة، فإن لم يتيسر فمن المصادر التي نقلت عنهم.

٦ – شرحت الألفاظ الغريبة والغامضة.

٧ – ترجمت للأعلام غير المشهورين ترجمة موجزة.

٨ – وضعت علامات الترقيم في مواضعها المناسبة.

القسم الأول: الدراسة، وفيها مبحثان:

المبحث الأول: التعريف بالمؤلِّف، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: اسمه، ونسبه، ومولده، ونشأته:

الفرع الأول: اسمه، ونسبه:

هو أبو الفضل محمد بن أبي القاسم بن بابجوك، البقالي الخوارزمي، الملقب بزين المشايخ، عالم بالأدب، مفسر، فقيه حنفي، من أهل خوارزم(١).

والبَقّالي: بفتح الباء الموحدة، والقاف المشددة(٢)، والبقّال هو من يبيع الأشياء المتفرقة من الفواكه اليابسة، ونحوها، ومن يبيع الخضر من البقول الرطبة(٣). وبابجوك: "ببائين موحدتين بينهما ألف بعدها جيم، وبعد الْوَاو كاف"(٤).

والخوارزمي: نسبة إلى بلدة خوارزم، التي لها ذكر في الفتوح، وقد فتحها قتيبة بن مسلم الباهلي، وكان بها عدد من كبير من الأئمة والعلماء(٥)، وخوارزم ليست اسمًا للمدينة، وإنما هي اسم للناحية بجملتها(٦)، وتقع على ضفاف نهر جيحون، يحدها من الشرق والجنوب بلاد خراسان، ومن أهم مدنها كاث، والجرجانية، وهي تقع اليوم في الجزء الغربي من دولة أوزباكستان(٧).

الفرع الثاني: مولده:

لم أقف على سنة مولده غير أن ياقوت الحموي ذكر أنه توفي سنة (٥٦٢هـ)، وقد نيَّف على السبعين(٨).

الفرع الثالث: نشأته:

لم تذكر المصادر التي وقفت عليها شيئًا عن نشأته وحياته العلمية، ويظهر من سنة وفاته أنه عاش في الفترة (٤٩٢-٥٦٢هـ)، وهي الفترة التي كان فيها الحكم في خوارزم للسلاجقة(٩).

---

(١) ينظر ترجمته: معجم الأدباء (٦/٢٦١٨)، تاريخ الإسلام (١٢/٢٦٨)، الجواهر المضية في طبقات الحنفية (٤/٣٩٢)، الوافي بالوفيات (٤/٣٤٠)، طبقات المفسرين، للسيوطي (ص١١٧)، طبقات المفسرين، للداودي (٢/٢٣٠)، وقد استوعب ترجمته د. ممدوح القحطاني في بحثه الذي أشرت إليه في الدراسات السابقة.

(٢) الأنساب (٢/٢٨٠)، المشتبه في أسماء الرجال (ص٥١)، توضيح المشتبه (١/٥٧٤).

(٣) توضيح المشتبه (١/٥٧٤).

(٤) الوافي بالوفيات (٤/٢٤٢).

(٥) الأنساب (٥/٢١٣).

(٦) معجم البلدان (٢/٣٩٥).

(٧) ينظر: الروض المعطار (ص٢٢٤)، بلدان الخلافة الشرقية (ص٤٨٩)، أطلس تاريخ الإسلام (ص٤٠٥).

(٨) ينظر: معجم الأدباء (٦/٢٦١٨).

(٩) ينظر: الدولة الخوارزمية والمغول (ص٢٨).

المطلب الثاني: مكانته العلمية، وآثاره، وشيوخه، وتلاميذه:

الفرع الأول: مكانته العلمية:

كان البقَّالي – رحمه الله – فقيها في المذهب الحنفي، وهو عمدة عند المتأخرين من الحنفية، وقد اعتمد قوله جمع من فقهاء الحنفية منهم حسين بن علي السغناقي في كتابه: (النهاية في شرح الهداية)[١]، وابن مازة الحنفي في كتابه المحيط البرهاني في الفقه النعماني[٢]، والشِّلْبي في حاشيته على تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق[٣]، وغيرهم.

وقد أثنى عليه كثير من الأئمة، وأشادوا بعلمه، ومن ذلك قول الإمام محمود بن محمد الخوارزمي: "كان إمامًا في الأدب، وحجة في لسان العرب، أخذ علم الأدب واللغة عن الزمخشري، وجلس بعده مكانه، وكان جم الفوائد، كثير الفرائد، حسن الاعتقاد، تقي الفؤاد، طيب الصحبة، كريم النفس، نزيه العرض، مشتغلًا بالإفادة، وتصنيف التصانيف"[٤]، وتبعه على هذا الثناء ياقوت الحموي. وقال اللكنوي: كان إمامًا فاضلًا، فقيهًا مناظرًا، خبيرًا بالمعاني والبيان[٥].

الفرع الثاني: آثاره:

ترك البقالي رحمه الله عددًا من المصنفات في كثير من الفنون والعلوم[٦]، قال عنه ابن قاضي شهبة: "له تصانيف كثيرة كلها حسنة، وعند الناس مقبولة"[٧].

ومن آثاره: كتاب: شرح الأسماء الحسنى، وكتاب: أسرار الأدب وافتخار العرب، وكتاب: مفتاح التنزيل، وكتاب: الترغيب في العلم، وكتاب: كافي التراجم بلسان الأعاجم، وكتاب: الأسمى في سرد الأسماء، وكتاب: أذكار الصلاة، وكتاب: تقويم اللسان في النحو، وكتاب: الهداية في المعاني والبيان، وكتاب: التنبيه على إعجاز القرآن، وكتاب: منازل العرب ومياهها، وغير ذلك[٨]. وللأسف فقد عدت عليها عوادي الزمن، ولم توجد مخطوطاتها بعد، وعليه فإنها في الوقت الحالي في حكم المفقود، ولعل الله يسهل وصول الباحثين إليها في خزائن المخطوطات، فكم من كتاب قيل إنه مفقود ثم يسر الله لباحث أن يجده.

الفرع الثالث: شيوخه:

وأهم من توصلت إليهم من شيوخه:

١ – أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري، (ت٥٣٨هـ)[٩].

---

(١) ينظر: النهاية في شرح الهداية (٢/٥٠).

(٢) ينظر: المحيط البرهاني في الفقه النعماني (١/١٦٠)

(٣) ينظر: حاشية تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق (١/١١٥).

(٤) معجم الأدباء (٦/٢٦١٨)، الدر الثمين في أسماء المصنفين (ص١٣١)، تاريخ الإسلام (١٢/٢٨٥).

(٥) الفوائد البهية في تراجم الحنفية (ص١٦٢).

(٦) استوعبت في بحث: محمد بن أبي القاسم بن بابجوك البقالي ومعالم منهجه في الموجود من تفسير مفتاح التنزيل، (ص١٩٦).

(٧) طبقات فقهاء الشافعية (ص١٥٨).

(٨) ينظر: الأنساب للسمعاني (٢/٣٨٢)، كشف الظنون (١/٥٩٦).

(٩) معجم الأدباء (٦/٢٦١٨).

٢- عمر بن محمد بن حسن بن علي الفرغولي، (ت٥٣٨هـ)[١].

٣ – محمد بن أبي بكر بن محمد السنجي، (ت٥٤٨هـ)[٢].

الفرع الرابع: تلاميذه:

وأهم من توصلت إليهم:

١ – أبو الفتح ناصر بن عبد السيد بن علي المطرزي (ت٦١٠هـ)[٣].

٢ – محمد بن سعد بن محمد الديباجي المروزي (ت٦٠٩هـ)[٤].

المطلب الثالث: معالم منهج المؤلف، ومصادره:

الفرع الأول: معالم منهج المؤلف:

يعد تفسير البقالي من التفاسير المتوسطة، فلم يتوسع مؤلفه في سرد الأقوال، والإكثار من النقولات، بل تميز بالاختصار في جل المواضع، ولم يتوسع كثيراً خارج دائرة تفسير القرآن الكريم وعلومه، فنجده لا يتعرض كثيرًا للمذاهب الفقهية، ولا للقضايا العقدية، وإليك بعض الشواهد:

١ – عدم الإكثار من النقول: فنجده لا يتوسع في ذكر النقول عمن سبقه من المفسرين، وإن نقل فإنه ينقل باختصار، تظهر معه شخصيته في تفسيره، ومثال ذلك ما جاء تفسير قوله تعالى: ﴿ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ﴾ [الذاريات: ١٦]، قال: "أي: قبل ما أعطاهم، كقوله: ﴿وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [التوبة: ١٠٤]، وكذا قيل في قوله: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةً﴾ [التوبة: ١٠٣]، وليس المراد به القبول الذي يعرض على لإنسان الشيء فيقبله، وإنما المراد يعطيهم ذلك فيستوفونه، ويتلقونه وينتفعون به، شاكرين غير متسخطين، قد وافق ذلك مرادهم، ونهاية رضاهم".

٢ – الإحالة لما سبق تفسيره وذلك رغبة في الاختصار، ومثال ذلك ما جاء عند تعرض لبيان معنى القسم في قوله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا﴾ [الذاريات: ١]، قال: "قد ذكرنا معنى القسم في مثله".

٣ – الاعتناء بتوجيه القراءات الشاذة: كما ذكر في تفسير قوله تعالى: ﴿يُؤۡفَكُ عَنۡهُ مَنۡ أُفِكَ﴾ [الذاريات: ٩]، قال: "وقد قرئ (يؤفن) عنه من أفن[٥]، ثم قال: رجل مأفون مستخرج العقل وافن ما في الضرع إذا استخرجه".

٤ – الاهتمام ببيان تفسير الصحابة والتابعين، كما ذكر في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ۝١ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ۝٢ فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ۝٣ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ۝٤﴾ [الذاريات: ١ – ٤]، قال: "وعن علي عليه السلام أنه قال: على المنبر: (سلوني قبل أن لا تسألوني، ولن تسألوا بعدي مثلي، فقام ابن الكواء فقال: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ

---

(١) تاريخ الإسلام (١٢/٢٨٥).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢٠/٢٨٤).

(٣) تاريخ الإسلام (١٣/٢٥٣).

(٤) معجم الأدباء (٦/٢٥٣٨).

(٥) وهي قراءة شاذة. ينظر: الكشاف (٤/٣٩٧).

ذَرۡوٗا﴾؟ قال: الرياح، قال: ﴿فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا﴾؟، قال: السحاب، قال: ﴿فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا﴾؟ قال: السفن، قال: فالأخسرين أعمالا؟ قال: أصحاب الصوامع، قال: ﴿فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا﴾؟ قال: الملائكة)[١]، وكذا عن ابن عباس أقسم بالرياح اللاتي تذروا".

٥ – الاهتمام بإيراد الخلافات المشهورة بين المفسرين مع الترجيح، ومن ذلك ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ﴾ [الذاريات: ٢٨] ذكر الاختلاف المشهور بين المفسرين في مسألة الذبيح هل هو إسماعيل أو إسحاق عليهما السلام؟ ثم قال: "وقد ذكرنا ما قيل في الذبيح أنه إسحاق أو إسماعيل، وهاهنا اختلفوا أيضًا، وعن قتادة هو إسماعيل، والصحيح هو إسحاق؛ لأن في القصة دليلا على أن المرأة سارة، لأن صكها وجهها من الحياء، كفعل النساء الخفرات إذا ذكر لهن الولادة والنكاح".

٦ – النزعة الاعتزالية عند التعرض عند تفسير أسماء الله الحسنى، وهو قليل جدًا، ولم يرد في سورة الذاريات إلا في موضع واحد، وذلك عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨]، قال: "وقد يجعل هذا كله القوي والمتين في أسمائه تعالى مجازًا".

الفرع الثاني: مصادره:

بالنسبة لما في هذه النسخة التي وقفت عليها والتي يشملها التحقيق فإنه لم يظهر لي أنه اعتمد مصدرًا بعينه، وإنما اتضح لي أنه ينقل ما كتبه العلماء السابقون، وينص أحيانا على النقل من بعض المفسرين، ويتصرف في بعض العبارات، فقد يختصر، ويقول: قيل فيه كذا، وقيل كذا، ونحو ذلك من العبارات، كما أن من أبرز مصادر تفسيره اعتماده على تفسير القرآن بالقرآن، وسأذكر هنا بعض مصادره:

١ – تفسير القرآن بالقرآن: ومن أمثلة ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ﴾ [الذاريات: ٢٠]، قال البقالي: "هذا كسائر ما ذكر تعالى من التنبيه على قدرته كقوله: ﴿وَفِي خَلۡقِكُمۡ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية: ٤].

٢– معاني القرآن، للفراء، فقد نقل عنه معنى: ﴿ٱلۡحُبُكِ﴾ [الذاريات: ٧]، قال: "تكسُّر كل شيء، كالرملة إذا مرت بها الريح الساكنة"[٢].

٣–تفسير الطبري، فقد نقل عنه ما جاء في سبب نزول سورة الذاريات.

٤ – تفسير الكشاف، للزمخشري، كتفسيره للفظة: ﴿مُّسَوَّمَةً﴾ [الذاريات: ٣٤] أي: معلمة[٣].

المطلب الرابع: وفاته:

توفي البقالي رحمه الله بجرجانية خوارزم، سنة اثنتين وستين وخمسمائة، وقد نيف على السبعين[٤].

---

(١) المستدرك على الصحيحين، للحاكم، (٥٠٦/٢) حديث رقم (٣٧٣٦)، وقال حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، قال الذهبي في التلخيص حديث صحيح.

(٢) معاني القرآن (٨٢/٣).

(٣) للاستزادة حول مصادر تفسير البقالي ومنهجه في تفسيره يمكن الرجوع إلى بحث: محمد بن أبي القاسم بن بابجوك البقالي ومعالم منهجه في الموجود من تفسير مفتاح التنزيل (ص١٩٦).

(٤) ينظر: الأنساب (٣٨٢/٢)، الدر الثمين في أسماء المصنفين (ص١٣١).

المبحث الثاني: التعريف بالمؤلَّف (المخطوط)، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: عنوان المخطوط، وتوثيق نسبته إلى المؤلف:

اشتهر الكتاب باسم (مفتاح التنزيل)، وقد سماه بهذا الاسم جمع من المؤرخين، منهم: ياقوت الحموي في معجم الأدباء[١]، والذهبي في تاريخه[٢]، والداوودي في طبقات المفسرين[٣]، والصفدي في الوافي في الوفيات[٤]، ومحيي الدين الحنفي في الجواهر المضية في طبقات الحنفية[٥]، وابن ناصر الدين في توضيح المشتبه[٦]، والسيوطي في بغية الوعاة[٧]، وحاجي خليفة في كشف الظنون[٨]، وبهذا الاسم يوجد مخطوط في معهد المخطوطات العربية، بالقاهرة، مصر، رقم الحفظ: (١١٨) عن داماد إبراهيم (٧٩٩)[٩].

وذكر بعضهم كتابًا في التفسير، ولم يسمه بشيء، ومنهم: ابن المستوفي في تاريخ إربل[١٠]، والذهبي في تاريخ الإسلام[١١]، وابن ناصر الدين في توضيح المشتبه[١٢]، ومحي الدين الحنفي في الجواهر المضية في طبقات الحنفية[١٣]، والسيوطي في طبقات المفسرين[١٤]، وحاجي خليفة في سلم الوصول إلى طبقات الفحول[١٥]، وانفرد إسماعيل البغدادي فسماه بـ "مصباح التنزيل في التفسير"[١٦]، ولعل الأصوب في اسمه هو (مفتاح التنزيل)، كما ذكره ياقوت الحموي؛ لأنه أقرب عصرًا من عصر المؤلف، وتبعه في ذلك الآخرون.

المطلب الثاني: وصف النسخة الخطية:

بعد البحث وسؤال أهل الخبرة، لم يتيسر لي الوقوف إلا على نسخة خطية فريدة، كتبت بخط مشرقي واضح، وكبير، ومقروء، وحروفه منقوطة؛ وهناك تشكيل لما يشكل، وأسماء السور أيضًا بخط كبير وواضح.

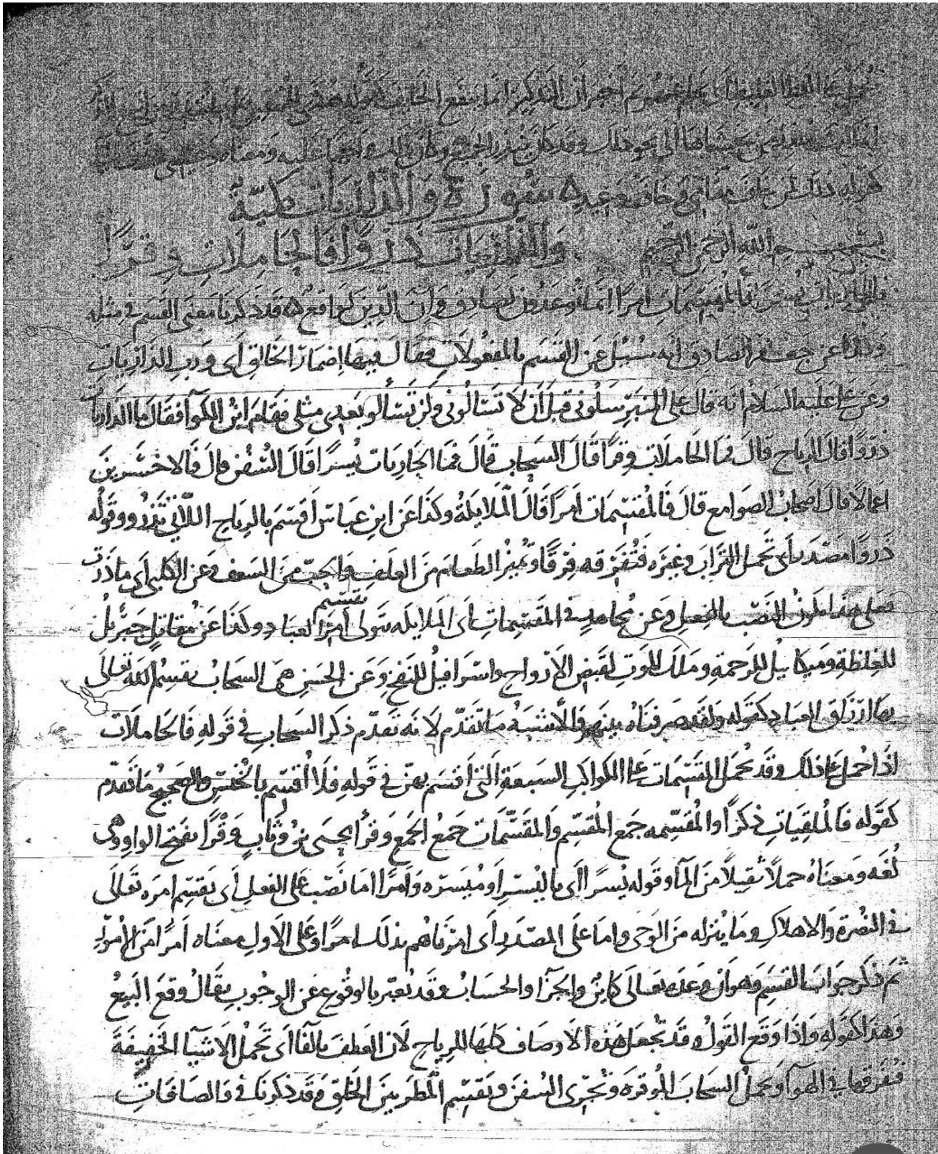
---

(١) معجم الأدباء (٢٦١٨/٦).
(٢) تاريخ الإسلام (٢٨٦/١٢).
(٣) طبقات المفسرين (٢٣٢/٢).
(٤) الوافي بالوفيات (٢٤٢/٤).
(٥) الجواهر المضية في طبقات الحنفية (٣٧٢/٢)
(٦) توضيح المشتبه (٥٧٧/١).
(٧) بغية الوعاة (٢١٥/١).
(٨) كشف الظنون (١٧٦٠/٢).
(٩) خزانة التراث – فهرس مخطوطات (٢٥٠/٩٦).
(١٠) تاريخ إربل (٥٧٠/٢).
(١١) تاريخ الإسلام (١٣٩/٣٩).
(١٢) توضيح المشتبه (١/ ٥٧٧).
(١٣) الجواهر المضية في طبقات الحنفية (٣٧٢/٢).
(١٤) طبقات المفسرين للسيوطي (ص١١٧). لكنه غاير بين كتاب التفسير، ومفتاح التنزيل.
(١٥) سلم الوصول إلى طبقات الفحول (٦٧/٣).
(١٦) هدية العارفين (٩٨/٢).

ومصدر هذه النسخة الخطية مكتبة الأسكوريال، والمخطوط ذو وجه واحد، وعدد أوراقه (٥) أوراق، وفي كل صفحة (٢٠) سطرًا، وفي كل سطر قرابة (١٩) كلمة، وتنتهي كل ورقة منها بالتعقيبة، وهي أول كلمة في الورقة اللاحقة، تأكيدًا لاتصال الكلام، وعدم السقط.

وقد اطلعت على ما ذكره، د. ممدوح القحطاني من نسخ الكتاب في بحثه (محمد بن أبي القاسم بن بابجوك البقالي (ت٥٦٢هـ)، ومعالم منهجه في الموجود من تفسيره مفتاح التنزيل)، في مجلة تبيان للدراسات القرآنية العدد (٣٩)، حيث ذكر نسختين: النسخة الأولى في مكتبة داماد إبراهيم، وهي تبدأ من سورة (طه) وحتى آخر سورة (النمل). والنسخة الثانية: في الظاهرية، وهي تبدأ من أول سورة القصص، وحتى آخر سورة النجم. ولم أستطع العثور عليهما.

نموذج من المخطوط:



القسم الثاني: النص المحقق:

سورة الذاريات مكية:

بســـم الله الـــرحمن الـــرحيم: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا ۝١ فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا ۝٢ فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا ۝٣ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ۝٤﴾ [الذاريات: ١-٤].

قد ذكرنا معنى القسم في مثله، وكذا عن جعفر الصادق أنه سئل عن القسم بالمفعولات فقال: فيها إضمار الخالق، أي: ورب الذاريات، وعن علي عليه السلام أنه قال على المنبر: (سلوني قبل أن لا تسألوني، ولن تسألوا بعدي مثلي، فقام ابن الكواء فقال: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا﴾؟ قال: الرياح، قال: ﴿فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا﴾؟، قال: السحاب، قال: ﴿فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا﴾؟ قال: السفن، قال: فالأخسرين أعمالا؟ قال: أصحاب الصوامع، قال: ﴿فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا﴾؟ قال: الملائكة)[١]، وكذا عن ابن عباس أقسم بالرياح اللاتي تذروا[٢]، وقوله: ﴿ذَرۡوٗا﴾ مصدر[٣]، أي: تحمل التراب وغيره، فتفرقه فرقًا، وتميز الطعام من العلف، والجب من السعف، وعن الكلبي، أي: ما ذرت، فعلى هذا كمون النصب بالفعل، وعن مجاهد[٤] في (المقسمات)، أي: الملائكة تتولى تقسيم أمر العباد، وكذا عن مقاتل[٥]: جبريل للغلظة، وميكائيل للرحمة، ومالك الموت لقبض الأرواح، وإسرافيل للنفخ، وعن الحسن: هي السحاب، يقسِّم الله تعالى بها أرزاق العباد، كقوله: ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَٰهُ بَيۡنَهُمۡ﴾[٦]، والأشبه ما تقدم؛ لأنه تقدم ذكر السحاب في قوله: ﴿فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ﴾ إذا حمل على ذلك، وقد يحمل: (المقسمات) على الكواكب السبعة التي أقسم بهن في قوله ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ﴾[٧]، والصحيح ما تقدم، كقوله: ﴿فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا﴾[٨]، والمقسمة

---

(١) المستدرك على الصحيحين، للحاكم، (٥٠٦/٢) حديث رقم (٣٧٣٦)، وقال حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، قال الذهبي في التلخيص حديث صحيح.

(٢) ينظر: جامع البيان (٣٩١/٢٢)، وقد قيل في معنى الذاريات: أي النساء الولودات. ينظر: النكت والعيون للماوردي (٣٦٠/٥)، لكن هذا المعنى يخالف الجمهور، قال السمعاني: "وعلى هذا أكثر المفسرين، أي: على ما ذكره علي رضي الله عنه". ينظر: تفسير القرآن (٢٥٠/٥).

(٣) ينظر المحرر الوجيز (١٧١/٥).

(٤) ينظر: تفسير مجاهد (ص٦١٧)، جامع البيان (٣٩١/٢٢).

(٥) ينظر: النكت والعيون (٣٦٠/٥) وقد ذكر الماوردي هذا الاختلاف في معنى المقسمات فقال: "فيه قولان: أحدهما: إنه السحاب يقسم الله به الحظوظ بين الناس. الثاني: الملائكة التي تقسم أمر الله في خلقه"، لكني أرى القول الثاني هو الراجح؛ لأنه قول أكثر المفسرين، كما ذكر السمعاني في تفسيره (٢٥٠/٥).

(٦) سورة الفرقان، الآية: (٥٠).

(٧) سورة التكوير، الآية: (١٥)، وينظر: الكشاف (٣٩٥/٤)، وهذا القول ضعيف؛ لأنه يخالف قول أكثر المفسرين.

(٨) سورة المرسلات، الآية: (٥).

جمع المقسم، والمقسمات جمع الجمع، وقرأ يحيى بن وثاب[١]: (وَقرًا) بفتح الواو[٢] وهي لغة ومعناه: حملًا ثقيلًا من الماء، قوله: (يُسرًا) أي: باليسر أو ميسره[٣]، و(أَمرًا) إما بالنصب على الفعل، أي: يقسم أمره تعالى في النصرة والإهلاك، وما ينزله من الوحي، وإما على المصدر، أي: أمرناهم بذلك أمرًا، وعلى الأول معناه: أمرًا من الأمور، ثم ذكر جواب القسم[٤]، وهو أن وعده تعالى كائن، والجزاء والحساب، وقد يعبر بالوقوع عن الوجوب، يقال: وقع البيع، وهذا كقوله ﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ ﴾[٥]، وقد تجعل هذه الأوصاف كلها للرياح؛ لأن العطف بالفاء، أي: تحمل الأشياء الخفيفة، فتفرقها في الهواء، وتحمل السحاب الموقرة، وتجري بالسفن، وتقسم المطر بين الخلق، وقد ذكرنا في: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ﴾[٦] أن الفاء في مثله كثير في الشعر، وهذه الأفعال كلها لله تعالى، وإنما أضافها إلى أسبابها التي تظهر بها[٧] كقوله: [...[٨]] دلالة عليه، وإنما تعظيمها في القسم لذلك، وما في [... [٩]] ما بمعنى الذي [...[١٠]]، يكون مصدرًا، وإنما سمى الوعد صادقًا؛ لأن الصدق فيه، كقولك: (ليلٌ نائم)[١١]، ومعناه: لوعد صادق.

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ۝٧ إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۝١١ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٢ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ۝١٣﴾ [الذاريات: ٧ – ١٣].

في الحُبُك أقوال منها: الإتقان والحسن في خلقها وبنائها وتزيينها بالنجوم، حبكت بها، أي: زينت، وكذا عن قتادة: حبكها نجومها، وعن مجاهد: المتقن البنيان، وعن الضحاك يعني: الطرائق، وكذا عن محمد بن كعب، قال: ولكنها بعيدة عن العباد فلا يرونها، وكذا عن يمان، أي: كقطع السحاب الصغار، وعن الكلبي: كطرائق الماء إذا

(١) يحيى بن وثاب الأسدي بالولاء، الكوفي، إمام أهل الكوفة في القرآن، تابعي ثقة، قليل الحديث، من أكابر القراء، (ت١٠٣هـ). ينظر: التاريخ الكبير (٨/٣٠٨).

(٢) لم يذكر الاختلاف عن القراء العشر في كسر الواو في قوله: (وقِرا) ينظر: النشر في القراءات العشر (٢/٣٧٧)، وقد ذكر الزمخشري أن فيها قراءة بفتح الواو على تسمية المحمول بالمصدر، وهي قراءة شاذة. ينظر: الكشاف (٤/٣٩٤).

(٣) ينظر: المحرر الوجيز (٥/١٧١)

(٤) ينظر: الكشاف (٤/٣٩٥) زاد المسير (٤/١٦٧).

(٥) سورة النمل، الآية: (٨٢).

(٦) سورة الصافات، الآية: (١). وقد ذكر هذا القول الرازي، وقال: "هو الأقرب بأنها أربع صفات للرياح، وقد خالف فيه قول الجمهور، وأرى بأن اختلاف هذه المعاني من قبيل اختلاف التنوع لا التضاد، وهي من أوجه إعجاز القرآن الكريم". مفاتيح الغيب (٢٨/١٦١).

(٧) ينظر: أنوار التنزيل (٥/١٤٦).

(٨) غير واضح في الأصل بمقدار أربع كلمات

(٩) كلمة غير واضحة.

(١٠) غير واضح في الأصل بمقدار ثلاث كلمات.

(١١) ينظر: لسان العرب (٢/٥٨٢).

ضربتها الريح[١]، وعن الفراء: تكسر كل شي كالرملة إذا مرت بها الريح الساكنة والماء القائم إذا مرت به الريح، وكذا عن الدرع والشعر الجعد[٢]، وقد يكون من الارتفاع والانخفاض، كما أن الأرض تنخفض وترتفع إلا أنا نراها مستوية لبعدها وعظمها، وعن عكرمة: إذا أجاد الحائك الحياكة، يقال: ما أحسن حُبُكه، ويقال في الواحد: حبَّاك، مثل: حدَّاد[٣]، وأنشدوا في الطرائق:

كانت إلى جنب أركاة تكفئها *** ريح خرنق لضاحي مائه حُبُكُ[٤]

وقد روي عن ابن عباس أنها الريح تقطع السحاب الصغار، وعن عبد الله بن عمرو يعني: السماء السابعة[٥]، ثم أجاب عن القسم بأنهم مختلفون في القرآن وفي الرسول يقولون: ساحر، ومجنون، وكاهن، وأساطير الأولين، ونحو ذلك، ويختلفون في التصديق؛ فمن مصدق ومن مكذب[٦]، وعن الضحاك أي: غير مستو؛ لأن الكفر لا يكون مستويا[٧]، والهاء في قوله: (عَنه) للرسول أيضًا أو للقرآن لا يصرف عنه إلا من صرف، كما يقال: لا يهلك على الله إلا هالك، وقد يكون يصرف عنه من صرف عن كل خير[٨]، وقد ذكرنا في مثله أنه يذكر ولا يراد به الفعل، وكذا ذكره القاضي أبو عاصم[٩] قال: لم يرد به فعل غيرهم بهم إنما أراد فعلهم، كقوله: ﴿ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ ﴾[١٠]، ويقال لمن يذهب في شغله: أين يذهب بك؟ على ما ذكرنا في مثله عن البوزجاني[١١] وغيره، وقد يحمل على صرف في سابق علمه تعالى، كما ذكرنا في قوله ﴿ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴾[١٢]، وقد روي عن ابن عباس أن الحي من العرب كانوا يبعثون الرجل ذا العقل والرأي ليسأل عن رسول الله صلى عليه وسلم، فيقولون له: احذره، فيرجع فيخبرهم[١٣]، وقد قرئ: (يؤفن) عنه من أفن[١٤] والمعنى [...[١٥]] رجل مأفون مستخرج العقل

---

(١) أورد الطبري هذه الأقوال في معنى الحبك. ينظر: جامع البيان (٣٩٤/٢٢).

(٢) معاني القرآن، للفراء (٨٢/٣).

(٣) ينظر: معالم التنزيل (٢٧٢/٧)، الكشاف (٣٩٦/٤).

(٤) عجز البيت لزهير بن أبي سلمى. ينظر: جمهرة اللغة (٢٨٣/١).

(٥) ينظر: جامع البيان (٣٩٧/٢٢)، وقد اختلف في معنى (الحبك) إلى عدة معان منها: الشدة، والاستواء، والصفاقة، والطرق، والزينة، وحبك الماء، إذا ضربته الريح والنجوم. ينظر: النكت والعيون (٣٦٣/٥).

(٦) ينظر: جامع البيان (٣٩٥/٢٢).

(٧) ينظر: الكشاف (٣٩٦/٤).

(٨) الكشاف (٣٩٦/٤).

(٩) لم أجد له ترجمة بعد طول بحث.

(١٠) سورة المنافقون، الآية: (٩).

(١١) لم أقف على ترجمة له عند العلماء، أما بوزجان البلد فهي بُليدة بين نيسابور وهراة. معجم البلدان (٥٠٧/١).

(١٢) سورة الصافات، الآية: (١٦٣).

(١٣) ينظر: الكشاف (٣٩٧/٤).

(١٤) ينظر: جامع البيان (٣٩٨/٢٢)، وهذه القراءة شاذة.

(١٥) غير واضح في الأصل.

وافن ما في الضرع إذا استخرجه[١]، وأما (الخراصون) فهم الكذابون أهل الغرة بالله، والظنون[٢]، وكذا عن سعيد بن جبير: المرتابون[٣]، وأصله القول بلا حقيقة، على ما ذكرنا، وعن ابن عباس: هم الكهنة، ومعناه: الدعاء عليهم باللعنة، كقوله: ﴿قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾[٤]، وأما (الغمرة) فهي الجهل الكثير الذي يغمرهم كما يغمر الماء الإنسان حتى يغرق، ثم يتمادون في الضلال، ويستمرون عليه، وهذا سهو غفلة وتعمد، كما يجوز ذلك في النسيان[٥]، و(أيان) بمعنى (متى)، ثم أخبر أنهم إنما يسألون عن يوم عذابهم، ولا خير لهم فيما يسألون عنه، ومعناه يقال: ذوقوا عذابكم أو جزاء فتنتكم وضلالكم[٦]، وقد ذكرنا أنه لا يراد به الأمر، وإنما هو إخبار بما يصيبهم من العذاب، وإنما نصب (يومَ هم)؛ لأن الوقت إذا أضيف إلى اسم وفعل فارتفعا كان النصب في موضع الخفض والرفع[٧]، وعن الفراء: لو رفع جاز، وإنما نصب (أيان) على الوقت ورفع (يوم) على ما ذكرنا؛ لأن معناه متى، وذكر الطبري، أي: فقيل لهم في يوم هم على النار يفتنون، ومعناه: هذا الذي، وإنما سألوا واستعجلوا على وجه الإعجاز والاستهزاء[٨].

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾ [الذاريات: ١٥ – ١٩]، أي: قابلين ما أعطاهم، كقوله: ﴿وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَـٰتِ﴾[٩]، وكذا قيل في قوله: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً﴾[١٠]، وليس المراد به القبول الذي يعرض على الإنسان الشيء فيقبله، وإنما المراد يعطيهم ذلك فيستوفونه، ويتلقونه، وينتفعون به شاكرين غير متسخطين، قد وافق ذلك مرادهم ونهاية رضاهم[١١]، والنصب على الحال والقطع[١٢]، ثم أخبر أنهم إنما نالوا ذلك لإحسانهم فيما قبل أحسنوا العمل في دار العمل أحسنوا فيما أمروا به ونهوا عنه، وهذه كلمة جامعة لخصال الخير على ما ذكرنا في مثله[١٣]، وعن سعيد بن جبير: عاملين

---

(١) ينظر: الكشاف (٣٩٧/٤).

(٢) قاله قتادة. ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (٣٨٨/٧).

(٣) ينظر: جامع البيان (٤٠٠/٢٢).

(٤) سورة التوبة، الآية: (٣٠). وينظر: جامع البيان (٣٩٩/٢٢).

(٥) ذكر الطبري هذا المعنى. ينظر: جامع البيان (٤٠٠/٢٢).

(٦) ذكر السمعاني هذا المعنى. ينظر: تفسير القرآن (٢٥٣/٥).

(٧) ذكره الفراء في معاني القرآن (٨٣/٣)، قال الزمخشري: "فإن قلت: فبم انتصب اليوم الواقع في الجواب؟ قلت: بفعل مضمر دل عليه السؤال، أي: يقع يوم هم على النار يفتنون". الكشاف (٣٩٧/٤).

(٨) ينظر: جامع البيان (٤٠١/٢٢).

(٩) سورة التوبة، الآية: (١٠٤).

(١٠) سورة التوبة، الآية: (١٠٣).

(١١) ذكر هذا المعنى الزمخشري. ينظر: الكشاف (٣٩٨/٤)

(١٢) قال ابن عطية: (آخِذِينَ) نصب على الحال. المحرر الوجيز (١٧٤/٥)

(١٣) ينظر: معالم التنزيل (٣٧٢/٧)

بالفرائض(١)، ثم فسر الإحسان أيضًا، وقد يكون ابتداء، أي: وكانوا، وعن الضحاك في معنى: (كانوا) أنه بعد النسخ؛ لأنه فرض عليهم قيام الليل، فلما نُسخ، قال: كانوا هكذا، وعنه: أي كان قليل من الناس من يفعل ذلك، فعلى هذا يكون (القليل) صفة للناس، ثم ابتدئ: ﴿مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ﴾ فتكون (ما) للنفي، وقد تكون كقولك: قل ما تفعل كذا، أي: كان نومهم قليلًا، وقلَّت ليلة تمر بهم أن لا يصلوا فيها، كما ذكرنا(٢). في قوله: ﴿قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ﴾ [...(٣)]، فعلى الأول منهما فتكون رفعًا، أي: قليلًا هجوعهم(٤)، فتكون (ما) صلة بمعنى (الذي) على الخبر كان [...(٥)]، فمعناه: لا يهجعون، وهذا روي عن أنس، والبراء بن عازب، وابن الحنفية أنه الصلاة بين المغرب والعشاء(٦)، وعن الزهري كانوا أكثر الليل يصلون(٧)، وعن جعفر الصادق هي الهجعة بين العشاء والعتمة، أي: النومة، فمن لم يهجع حتى يشهدها فهو منهم، وكذا عن قتادة: كانوا لا ينامون عن صلاة العشاء، فيسمى النوم في الليل قليلًا في جناب ذلك(٨)، وعن الحسن: مدوا الصلاة إلى السحر، ثم استغفروا، وعنه: كانوا يصلون المغرب، ثم يؤخرون العشاء، ثم يقومون فيصلون إلى الفجر، وعن زيد بن أسلم: كانوا يكابدون الليل كله، وإنما خص وقت السحر لما ذكرنا أنه الوقت المرجو، وهو الاستغفار المحمود إذا كان بهذه الصفة، كما قال الحسن: هذا يومهم، وهذا ليلهم، فأما مع الإصرار فهو استهزاء على ما ذكرنا ذلك(٩)، وقد ذكرنا أيضًا أن الاستغفار قد يحمل في مثله على صلاة الفجر للمجاورة، وعلى الانتظار(١٠)، لها وقد ذكرنا أن أكثر الآي في الأمر والمدح على نوعين إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة؛ لأنهما معظم الحقوق على الإنذار، وفي الأموال فلما ذكر هاهنا صلاتهم ذكر زكاتهم؛ لأن الحق يقتضي الوجوب، ويحتمل النفل - أيضًا - على معنى: أنهم يرون ذلك على

---

(١) أورد الماوردي هذا الأثر عن ابن عباس. ينظر: النكت والعيون (٣٣٦/٥)

(٢) أورد الطبري هذا الأثر عن الضحاك. ينظر: جامع البيان (٤١٠/٢٢)، قال ابن عطية: "ما: نافية". المحرر الوجيز (١٧٥/٥).

(٣) غير واضح في الأصل بمقدار ٣ كلمات، لكن يظهر أن المعنى يدور حول ما أنه قد تكون صلة أو زائدة. قال ابن كثير: "اختلف المفسرون في ذلك على قولين: "أحدهما: أن (ما) نافية، تقديره: كانوا قليلا من الليل لا يهجعونه. قال ابن عباس: لم تكن تمضي عليهم ليلة إلا يأخذون منها ولو شيئًا. وقال قتادة، عن مطرف بن عبد الله: قلَّ ليلة تأتي عليهم لا يصلون فيها لله عز وجل، إما من أولها وإما من أوسطها. وقال مجاهد: قلَّ ما يرقدون ليلة حتى الصباح، لا يتهجدون. وكذا قال قتادة. وقال أنس بن مالك، وأبو العالية: كانوا يصلون بين المغرب والعشاء. وقال أبو جعفر الباقر، كانوا لا ينامون حتى يصلوا العتمة. والقول الثاني: أن (ما) مصدرية، تقديره: كانوا قليلا من الليل هجوعهم ونومهم. واختاره ابن جرير". تفسير القرآن العظيم (٤١٧/٧).

(٤) ذكر الطبري هذا القول عن الحسن والزهري، ثم قال: "وأما من جعل (ما) صلة فإنه لا موضع لها". ينظر: جامع البيان (٤٠٩/٢٢).

(٥) غير واضح في الأصل، لكن المعنى يدور حول (ما) إذا جاءت صلة، قال النحاس: "ويجوز أن يكون (ما) مع الفعل مصدرًا، ويكون (ما) في موضع رفع، وينصب (قليلا) على أنه خبر (كان)، أي: كانوا قليلا من الليل هجوعهم. إعراب القرآن (١٦٠/٤).

(٦) ذكر الطبري هذا الأثر عن أنس رضي الله عنه. ينظر: جامع البيان (٤٠٧/٢٢).

(٧) ينظر: زاد المسير (١٦٩/٤).

(٨) ذكره الطبري عن قتادة. ينظر: جامع البيان (٤٠٧/٢٢).

(٩) ينظر: الكشاف (٣٩٩/٤).

(١٠) قال الرازي: "والاستغفار يحتمل وجوها أحدها: طلب المغفرة بالذكر بقولهم: (ربنا اغفر لنا)، الثاني: طلب المغفرة بالفعل، أي: بالأسحار يأتون بفعل آخر طلبًا للغفران، وهو الصلاة". مفاتيح الغيب (١٦٩/٢٨).

أنفسهم من حيث الرغبة في الطاعات(١)، وقد قال تعالى في موضع آخر: ﴿ حَقٌّ مَّعۡلُومٌ ﴾(٢)، وإنما جمع بين السائل المحروم كما جمع بين القانع والمعتر(٣)، وكذا عن ابن عباس: المحروم المحارف(٤)، وعن علي: أنه الذي يأتي القوم وقد فتح عليهم ففاتته الغنيمة والجهاد(٥)، وكذا عن الحسن بن علي، وعن مجاهد نحوه: الذي لا حظ له في الفيء(٦)، وعن عطاء: الذي لا تستقيم له التجارة(٧)، وعن النخعي: الذي لا يثبت له المال(٨)، وعن سعيد بن جبير: الضيِّق المعيشة، وعن قتادة: هما سائلا أهل الإسلام وفقيراهم، يسألك هذا كفه، ويتعفف هذا(٩)، وعن الحسن: الذي لا يجد، ولا يرزق، وعنه: هو الزمِن الذي حُرم المكاسب، وعن السدي: المجدود، وهو الممنوع، وعن ابن كيسان: الذي لا تكفيه حرفته، وهذه عبارات متقاربة، والحرمان أيضًا ظاهر المعنى إلا أنهم أكثروا فيه مع ذلك؛ لأنه معطوف على السائل، فطلبوا له معنى خاصًّا، وقد عطف الله تعالى بعض الأصناف على بعض في آية الصدقة، وذكر ذوي القربى، واليتامى، والمساكين، وابن السبيل، والسائلين، والمعاني متقاربة، وإن اختلفت الألفاظ(١٠)، وقد روى الشعبي أنه قال: سألت عن المحروم منذ سبعين سنة فما أنا اليوم أعلم مني به يومئذ(١١)، وعن جابر: هو الذي هو الذي تصيبه الجائحة فتجتاح ماله، وحق على المسلمين أن يرفدوه(١٢)، وعن أبي قلابة: كان لرجل من اليمامة مال، فجاء سيل فذهب به، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه هو المحروم(١٣)، وعن ابن حبان: هو الذي لا يجتهد في إصابة مال إلا حرمه حتى يلزق بالأرض، ولا يعلم به الناس(١٤)، وكانت هذه

---

(١) قال الماوردي: "فيه وجهان: أحدهما: أنها الزكاة، قاله ابن سيرين، وقتادة، وابن أبي مريم. الثاني: أنه حق سوى الزكاة، تصل به رحماً أو تقري به ضيفاً أو تحمل به كلًّا أو تغني به محرومًا، قاله ابن عباس". النكت والعيون (٥/٣٦٦).

(٢) سورة المعارج، الآية: (٢٤).

(٣) ذكر الرازي هذا المعنى مفاتيح الغيب (٢٨/١٧٠).

(٤) ينظر: جامع البيان (٢٢/٤١٥).

(٥) ينظر: جامع البيان (٢٢/٤١٥).

(٦) ينظر: جامع البيان (٢٢/٤١٧).

(٧) ذكره ابن الجوزي. زاد المسير (٤/١٦٩).

(٨) نفس المرجع السابق.

(٩) أورد الطبري هذا الأثر. جامع البيان (٢٢/٤١٦).

(١٠) قال ابن عطية: "واختلف الناس في الْمَحْرُومِ اختلافًا، هو عندي تخليط من المتأخرين، إذ المعنى واحد، وإنما عبر علماء السلف في ذلك بعبارات على جهة المثالات فجعلها المتأخرون أقوالًا". المحرر الوجيز (٥/١٧٥).

(١١) أورد الطبري هذا القول عن الشعبي، ثم قال: "والصواب من القول في ذلك عندي أنه الذي قد حُرم الرزق واحتاج، وقد يكون ذلك بذهاب ماله وثمره، فصار ممن حرمه الله ذلك، وقد يكون بسبب تعففه، وتركه المسألة، ويكون بأنه لا سهم له في الغنيمة لغيبته عن الوقعة، فلا قول في ذلك أولى بالصواب من أن تعمّ". جامع البيان (٢٢/٤١٨).

(١٢) ذكر الطبري هذا المعنى. ينظر: معالم التنزيل (٧/٣٧٥).

(١٣) أورد ابن عطية هذا الأثر. المحرر الوجيز (٥/١٧٥).

(١٤) رجح ابن عطية هذا المعنى فقال: "والمعنى الجامع لهذه الأقوال إنه الذي لا مال له لحرمان أصابه". المحرر الوجيز (٥/١٧٥).

الصفة في أصحاب الصُّفة، كانوا أربع مائة لم يجعل الله تعالى لهم سهمًا في الخُمس يوم بدر، ولا في بني النضير، ثم نسختها آية الصدقات(١)، وكذا عن الكلبي، إلا أن أكثر الفقهاء على أنه الزكاة(٢)، وقد روي عن الشعبي: أنه كان يرى في الأموال حظًّا سوى الزكاة، ويحتج بما روي أن الصحابة قالوا لرسول الله: في المال حق سوى الزكاة؟ قال: نعم(٣)، ثم قرأ هذه الآية، وروي عنه أيضًا أنه قال: (ليس في المال حق سوى الزكاة)(٤)، ولو كان هاهنا واجبٌ آخر لكان مقدرًا كسائر الواجبات، وقد يروى في المحروم عن النبي صلى الله عليه أنه قال: (ليس المسكين الذي ترده الأكلة والأكلتان، والتمرة والتمرتان، قالوا: فما هو؟ قال: الذي لا يجد، ولا يتصدق عليه، فذلك المحروم)(٥)، فهذا يغني عن جميع ما تقدم.

﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٢١ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۝٢٢ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ۝٢٣﴾ [الذاريات: ٢٠ - ٢٣].

هذا كسائر ما ذكر تعالى من التنبيه على قدرته، كقوله: ﴿وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ﴾(٦)، والعاقل تكفيه نفسه، وبعض ما فيه دليلًا على وحدانيته تعالى، ومعناه: وفي أنفسكم آيات، وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنه: أنه الأكل والشرب؛ لأن ذلك يدخل من مكان ويخرج من مكانين، وكذا عن الزبير، وابن جريج: أنهما السبيلان(٧)، وقد يحمل على تحويل الحالات في الضعف والقوة، وغير ذلك على فسخ العزائم والهمم(٨)، كما قاله ذلك الشاب لسفيان؛ لأنه سأله: بمَ تعرف ربك؟ فذكر سفيان: ما يليق بذلك، فقال: أهكذا نعرفه مثلك؟ قال: فبماذا؟ قال: بنقص العزائم، وفسخ الهمم(٩)، وكان هذا من عقلاء المجانين، وقد يحمل على العروق والعظام، وسائر ما لا يوقف على تفصيله(١٠)، وإنما خص الموقنين؛ لأنهم المشفعون بذلك، وقوله: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾، بالقلب

(١) ينظر: معالم التنزيل (١/٣٧٧).

(٢) قال الماوردي: فيه وجهان: أحدهما: أنها الزكاة، قاله ابن سيرين وقتادة وابن أبي مريم. الثاني: أنه حق سوى الزكاة تصل له رحماً أو تقري به ضيفاً أو تحمل به كلاً أو تغني به محروماً، قاله ابن عباس. النكت والعيون (٥/٣٦٦).

(٣) سنن الترمذي (٣/٣٩)، قال الألباني: "ضعيف". ينظر: ضعيف الجامع الصغير وزيادته (ص٢٧٥).

(٤) سنن ابن ماجه (٣/٩)، قال شعيب الأرناؤوط: "إسناده ضعيف جدًا، شريك -وهو ابن عبد الله النخعي- سيئ الحفظ، وشيخه أبو حمزة -وهو ميمون الأعور- ضعيف. وقد اضطرب في متنه".

(٥) جاء عند البخاري باختلاف يسير عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ليس المسكين الذي يطوف على الناس ترده اللقمة واللقمتان، والتمرة والتمرتان، ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه، ولا يفطن به، فيتصدق عليه ولا يقوم فيسأل الناس»، حديث رقم (١٤٩٧).

(٦) سورة الجاثية، الآية: (٤).

(٧) ينظر: جامع البيان (٢٢/٤١٩).

(٨) ذكر الماوردي هذا المعنى. ينظر: النكت والعيون (٥/٣٦٧).

(٩) أورده الأصبهاني عن سفيان الثوري. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٧/٥٢).

(١٠) ينظر: جامع البيان (٢٢/٤٢٠).

والتفكر، ثم ذكر نوعا آخر من الدليل، وهو الرزق، وجهاته، ومعناه: المطر ينزل من السماء(١)، وقد ذكرنا معنى (السماء) في مثله، فينبت الأرزاق، فكأنها في السماء تنزل منها، كقوله: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾(٢) أي: خلق أو أنزل ما تعيش به؛ لأن النبات به، وقد يجعل (في) بمعنى (من)، وعن الحسن: كان إذا رأى السحاب، قال: لأصحابه فيه والله رزقكم، لكنكم تحرمونه بخطاياكم(٣)، وكذا عن السدي: بمعنى المطر(٤)، وقد يحمل على أن مقدار الرزق مكتوب وصادق [غير واضح]، وعلى رب السماء رزقكم، وكذا عن ابن كيسان(٥)، وقوله: ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ للثواب والعقاب، والجنة والنار، وتنزل الملائكة منها لقبض الأرواح، وعن ابن سيرين القيامة(٦)، وقد يحمل على السحابة أيضًا، أي: ذلك مكتوب فيه مقداره، ووقته، وقد يجعل ابتداء، وجوابه: أنه بحق، وعلى الأول: يكون القسم لذلك كله، أي: هذا صدق لا خلف فيه، وهذا أحد ما أقسم فيه تعالى صريحًا، ومثله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ﴾(٧)، ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ﴾(٨)، وروي أنهم أجدبوا قالوا: كيف يقولون هو يرزقنا ونحن نموت جوعًا؟ فأكَّد ذلك بالقسم؛ لأنه الرازق، كما ذكرنا أنه الخالق، فأما التشبيه بالنطق، ففيه أقاويل؛ منها: إنه إذا قيل لهم من خلقهم؟ من نزل من السماء ماء؟ ليقولن: الله، فكما أن هذا حق كذلك هذا، ومنها: أن المراد به النطق في الجملة؛ لأنه معنى مشاهد لا شك فيه، أو كما أنه أنطقكم كذلك رزقكم، أو كما يعرف بعضكم بكلام بعض، أو كما تفرقون بين النطق والسكوت(٩)، وإنما دخلت إن للتأكيد، أي: حق أن النطق للإنسان، كذلك كونه تعالى رازقًا، وإنما لم يقل: كنطقكم؛ لأنهم قد يكذبون، فوقع التشبيه بالنطق نفسه، وقيل: أي كما لا ينطق الإنسان بلسان غيره، كذلك لا يأكل رزق غيره، وإن كان يأكل مال غيره، وأما الإعراب فمن رفع (مثل) فعلى النعت، ومن نصب فعلى القطع أو المصدر، أي: لحق حقًا أو مثل نطقكم(١٠)، وعن الأخفش اسمان جعلا بمنزلة اسم واحد فبُنيا على الفتح، وعن الفراء: من العرب من ينصب (مثل) في كل حال، يقال: هذا

---

(١) ينظر: جامع البيان (٢٢/٤٢١).

(٢) سورة الزمر، الآية: (٦).

(٣) أورد الزمخشري هذا الأثر. الكشاف (٤/٤٠٠).

(٤) أورد الطبري هذا المعنى سفيان ومجاهد. جامع البيان (٢٢/٤٢١).

(٥) أورد ابن عطية هذا الأثر عن مجاهد. المحرر الوجيز (٥/١٧٦).

(٦) ذكر القرطبي هذا المعنى عن ابن سيرين. الجامع لأحكام القرآن (١٧/٤١).

(٧) سورة الحجر، الآية: (٩٢)..

(٨) سورة مريم، الآية: (٦٨)..

(٩) ينظر: المحرر الوجيز (٥/١٧٦).

(١٠) قال الفراء: "وَقَدْ رفع عاصم والأعمش: (مثلَ)، ونصبها أهل الحجاز والحسن، فمن رفعها جعلها نعتا للحق، ومن نصبها جعلها فِي مذهب المصدر". معاني القرآن (٣/٨٥).

مثلَك ومثلَ زيد؛ لأن الكاف تدخل عليها، فيقال: كمثلك[١]، ويحكى أن أعرابيا سمع الأصمعي يقرأ هذه الآية، وكان يقصد قطع الطريق، فقال: ما أحوج رب السماء إلى اليمين، فرما بما كان معه من الآلات، وتاب، فلقيه الأصمعي بعد ذلك، فسأله عن حاله، وقد حسُنت، فقال: لما رجعت إليه وسألته الرزق رزقني[٢].

﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٤ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ٢٥ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ٢٦ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ٢٧ فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ٢٨ فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا وَقَالَتۡ عَجُوزٌ عَقِيمٞ ٢٩ قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٠﴾ [الذاريات: ٢٤ - ٣٠].

قد تكون (هل) بمعنى: (قد)[٣]، أو على الظاهر على ما ذكرنا في مثله، أي: إنما أخبرناك بذلك، وقد يستعمل هذا في الإخبار عن الماضي، يقال: هل أتاك كذا، والضيف في الاثنين والواحد والجميع، وإنما سماهم (مكرمين)؛ لأنه خدمهم بنفسه، كذا عن مجاهد[٤]، وقيل: تعجيل القرى؛ ولأنهم كانوا مكرمين عند الله، كذا عن الحسن، وعبد العزيز بن يحيى، كقوله: ﴿بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ﴾[٥]، وروي أنهم كانوا اثني عشر، وقيل: تسعة عاشرهم جبريل، وقيل: ثلاثة جبريل، وميكائيل، وملك آخر[٦]. ومعناه: سلموا سلامًا، فرد عليهم، وقال: عليكم سلام، وقد مضى القول في ذلك، و(المنكَرون): الغرباء الذين لا يعرفون؛ لأن الإنكار ضد المعرفة، ومعناه: قال لهم أنتم قوم، وإنما قاله في نفسه كقوله: ﴿وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾[٧]، ولعله قال لهم أي من انتم فلا أعرفكم[٨]، وقد يكون على الإخبار، أي: هم قوم لا نعرفهم، وعن أبي العالية: أنكر سلامهم، أي: استبعده، ولم يكن ذلك عنده منهم في ذلك الوقت، وفي ذلك الموضع[٩]، وقوله: (فَرَاغَ) أي: ذهب في خفية، وهذا من آداب الضيافة أن لا يعرف الضيف ما يتكلفه المضيف له، ويهيئه؛ لأنه إذا علم فربما يقول: لا تفعل[١٠]، ومعناه: فلم يأكلوا، فقال: ألا تأكلون، وقيل: معناه كلوا، وإنما خاف لما بينا أنه كان من عاداتهم أن من أكل طعام إنسان أَمِن جانبه؛ ولأن

---

(١) معاني القرآن، للفراء (٣/٨٥).

(٢) أوردها ابن عطية في المحرر الوجيز (٥/١٧٧).

(٣) ينظر: الكشاف (٤/٦٦٥).

(٤) ينظر: معالم التنزيل (٧/٣٧٦).

(٥) سورة الأنبياء، الآية: (٢٦)، ولم أقف على هذا الأثر، ولكن ذكر البغوي هذا المعنى. معالم التنزيل (٤/٢٨٥).

(٦) ينظر: الكشاف (٤/٤٠١).

(٧) سورة المجادلة، الآية: (٨).

(٨) ذكر البغوي هذا المعنى عن ابن عباس رضي الله عنه. معالم التنزيل (٧/٣٧٦).

(٩) ينظر: معالم التنزيل (٧/٣٧٦).

(١٠) ذكر الزمخشري هذا المعنى. الكشاف (٤/٤٠١).

الامتناع يوهم أنه يريد بصاحبه ضررًا[١]، وقد سمى الولد حليمًا وعليمًا، وكلاهما من صفته؛ حليم في الصغر، عليم في الكِبَر، وعن الفراء: كان بعض مشيختنا يقول: إذا كان العلم منتظرًا قيل: إنه لعالم عن قليل[٢]، وعن الحسن: هو لنبي[٣]، وقد ذكرنا ما قيل في الذبيح إنه إسحاق أو إسماعيل، وهاهنا اختلفوا أيضا[٤]، وعن قتادة: هو إسماعيل، والصحيح: هو إسحاق[٥]؛ لأن في القصة دليلًا على أن المرأة سارَّة؛ لأن صكها وجهها من الحياء، كفعل النساء الخفرات[٦] إذا ذكر لهن الولادة والنكاح وضعن الأكف على الوجه، وقد أقبلت في جماعة من النساء فاستحيت منهن، و(الصَّرَة): الصيحة من صرت الباب[٧]، وعن الفراء والكلبي قالت: أوه[٨]، وعن عكرمة: لم تقبل من مكان إلى مكان، وإنما صاحت في جماعة النساء، فعلى هذا معناه: أخذت، كقولك: أقبل يكلمني[٩]، وعن الحسن: أقبلت إلى بيتها، وكانت في زاوية تنظر إليهم؛ لأنها وجدت حرارة الدم، فلطمت وجهها من الحياء[١٠]، و(الصَّك): الضرب، أي: جمعت أطراف أصابعها، فضربت جبهتها ضربًا شديدًا[١١]، وعن قتادة: وضعت راحتها على جبهتها، كالإنسان تتعجب من شيء، وقالت: عجوز، أي: أنا عجوز[١٢]، وإنما استبعدت من حيث العادة، كما ذكرنا في قصة زكريا، فأخبروها أن ذلك كائن، كما قال تعالى، وكذلك أنتِ عجوز، ومع ذلك تلدين، وروي أن العجل عاد إلى ما كان حيا[١٣]، وروي أنه لما قال جبريل: انظري إلى أسقف بيتك فإذا جذوعه مورقة مثمرة[١٤]، وهذا على تأكيد البشارة، أي: كلاهما من قدرته تعالى، كما دعا زكريا بالولد لما رأى الطعام عند مريم في غير وقته.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾﴾ [الذاريات: ٣١ - ٣٧].

(١) ذكر القرطبي هذا المعنى. الجامع لأحكام القرآن (١٧/٤٦).
(٢) جامع البيان (٢٢/٤٢٥).
(٣) الكشاف (٤/٤٠٢).
(٤) الخلاف بين المفسرين في هذه المسألة كبير جدًا، وكل قول له وجاهته، ولا يكفي المقام لعرض الأدلة، ومناقشتها.
(٥) ذكر السمعاني إجماع المفسرين على هذا القول. تفسير القرآن (٥/٢٥٧).
(٦) خفرة: أي حيية. فقه اللغة وسر العربية (ص١١٦).
(٧) ينظر: جامع البيان (٢٢/٤٢٧).
(٨) معاني القرآن، للفراء (٣/٨٧).
(٩) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (١٧/٤٦).
(١٠) ينظر: الكشاف (٤/٤٠٢).
(١١) ينظر: جامع البيان (٢٢/٤٢٧).
(١٢) ذكره الطبري عن سفيان. ينظر: جامع البيان (٢٢/٤٢٨).
(١٣) لم أقف على هذا القول عند المفسرين، ولعله من الإسرائيليات. والله أعلم.
(١٤) ينظر: الكشاف (٤/٤٠٢).

لما عرف أنهم ملائكة، كما ذكرنا من الآيات عرف أنهم لم ينزلوا إلا بإذنه تعالى كقوله: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَۖ﴾[١]، وأنهم أرسلوا لشيء، سأل ما شأنكم؟ وفيم جئتم؟ فأخبروه[٢]، وعبر بالإسراف عن تلك المعصية؛ لأنه عبارة عن مجاوزة الحد، ونبه بقوله (مِن طِينٍ) على أنه لم يكن بردًا يذوب[٣]، ثم أخبر أنها معدة في حكمه تعالى، وفي قدرته، وسلطانه معلمة لأمثالهم[٤]، وفيه دليل على أن الإيمان والإسلام واحد على ما ذكرنا في مثله[٥]، وكذا عن الزهري، وأخبر أن ذلك صار عبرة لمن يعتبر، ويخاف أن ينزل به ما نزل بهم.

﴿وَفِي مُوسَىٰٓ إِذۡ أَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكۡنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٞ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٞ ﴿٤٠﴾ وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَيۡءٍ أَتَتۡ عَلَيۡهِ إِلَّا جَعَلَتۡهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذۡ قِيلَ لَهُمۡ تَمَتَّعُواْ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مِن قِيَامٖ وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوۡمَ نُوحٖ مِّن قَبۡلُۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الذاريات: ٣٨ – ٤٦].

هذا عطف على قوله: (وَتَرَكۡنَا فِيهَا)، أي: وفي إرسالنا موسى أنه – أيضًا – عبرة، وقوله: (بِرُكۡنِهِۦ)، كقوله: ﴿وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾[٦]، وكذا عن الأخفش[٧]، وقيل: بجنوده وأصحابه؛ لقوله: ﴿ فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ﴾، وكذا عن مجاهد والكسائي قالا: بيانه: ﴿ أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ﴾[٨]، وعن محمد بن كعب من أجل قومه، ومعناه: قال هو ساحر، وقد قال تعالى في فرعون: ﴿ وَهُوَ مُلِيمٞ ﴾، وقال ذلك في يونس أيضًا[٩]، وإن كانا يختلفان في قدر اللوم، والملوم به، كما قال: ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ ﴾[١٠]، وقال: ﴿وَعَصَوۡاْ رُسُلَهُۥ ﴾[١١]، ﴿فَعَصَىٰ

---

(١) سورة مريم، الآية: (٦٤).

(٢) ينظر: جامع البيان (٢٢/٤٢٩).

(٣) قال السمعاني: ذكر الطين هَاهُنَا لكَي يعلم أنه لم يرد بِهِ الْبرد، وَالْعرب تسمي الْبرد النَّازِل من السَّمَاء حِجَارَة. تفسير القرآن (٥/٢٥٨).

(٤) قال الزمخشري: مُسَوَّمَةً معلمة، من السومة، وهي العلامة على كل واحد منها اسم من يهلك به. وقيل: أعلمت بأنها من حجارة العذاب. وقيل: بعلامة تدل على أنها ليست من حجارة الدنيا. الكشاف (٤/٤٠٢).

(٥) ينظر: الكشاف (٤/٤٠٢).

(٦) سورة الإسراء، الآية: (٨٣).

(٧) ينظر: معالم التنزيل (٥/٣٧٢)، ولا يوجد هذا الكلام في معاني القرآن للأخفش.

(٨) سورة هود، الآية: (٨٠)، وينظر: الجامع لأحكام القرآن (١٧/٤٩).

(٩) يقصد قوله تعالى: ﴿فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٞ﴾ [الصافات: ١٤٢].

(١٠) سورة طه، الآية: (١٢١).

(١١) سورة هود، الآية: (٥٩).

فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ﴾[١]، وأما (العَقِيم) هاهنا فمعناه: لا بركة فيها، ولا منفعة، فشبهت بالعقيم من الرجال والنساء؛ لأنها ريح عذاب، لا تلقح[٢]، ولا تنفَّس، والفعيل للمذكر والمؤنث، وعن علي: هي النكباء[٣]، وعن ابن عباس: هي الدبور[٤]، وعن سعيد بن المسيب: هي الجنوب[٥]، وأما (الرَّمِيم) فهو اليابس البالي، كقوله: ﴿وَهِيَ رَمِيمٞ﴾[٦]، وكذا عن ابن عباس: ما أنبتت الأرض مما لا ساق له فييبس[٧]، وكذا عن الضحاك، يسمى النبت والزرع إذا أكلته الماشية، وعن محمد بن كعب: كالتبن المدوس، وعنه: كالشيء الهالك، وعن يمان: بمعنى الكلأ، وما رمته الماشية بمرمتها، أي: بشفتيها، وهي المرمة والمقمة[٨]، وعن أبي العالية: كالتراب المدقوق[٩]، وروي أنها كانت تحمل البعير والشاة والعبد والآنية، فتلقيه في الوادي، ولم تضر غريبًا فيهم، وكانت تهدم عليهم البيوت، ومن لم يكن في بيت قطعته، وقوله: ﴿حَتَّىٰ حِينٖ﴾ فُسرت في قوله: ﴿تَمَتَّعُواْ فِي دَارِكُمۡ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٖ﴾[١٠]، وقيل: إلى منتهى آجالكم، وهو أحد ما ورد في القرآن من لفظ (الحين) على ما فيه من الوجوه، وقوله: ﴿عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ﴾، كقوله: ﴿فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ﴾[١١]؛ لأن الأمر علة للعتو، وقد يكون على معنى أن الأمر صار سببًا، كقوله: ﴿فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا﴾[١٢]، وقوله: ﴿وَهُمۡ يَنظُرُونَ﴾ كان نهارًا يعاينونه، وروي أن العمالقة كانوا في الوادي ينظرون إليهم فما ضرهم، وروي أنه دام عليهم ثلاثة أيام، و(مِنْ) لتأكيد النفي، ومعناه: النهضة والثبات، أي: لم يقوموا بعذابنا، وعجزوا عن دفعه، يقال: فلان يقوم بفلان، ويقيم به، أي: يطيقه، و(المنتَصِر) الممتنع المنتقم، وفي قراءة عبد الله: (وفي قوم نوح)[١٣]، وهذا يؤكد قراءة الكسر، فأما الفتح فعلى معنى: الإهلاك، عطفًا على لفظ (الأَخْذ) أو بإضمار: اذكر[١٤].

---

(١) سورة المزمل، الآية: (١٦). وقد ذكر الزمخشري هذا الإشكال وأجاب عنه. الكشاف (٤/٤٠٢).

(٢) ينظر: المحرر الوجيز (٥/١٨٠).

(٣) ينظر: المحرر الوجيز (٥/١٨٠).

(٤) ينظر: جامع البيان (٢٢/٣٤).

(٥) ينظر: الكشاف (٤/٤٠٣).

(٦) سورة يس، الآية: (٧٨).

(٧) لم أقف على هذا القول لابن عباس رضي الله عنه عند المفسرين.

(٨) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (١٧/٥١).

(٩) ينظر معالم التنزيل (٧/٣٧٨).

(١٠) سورة هود، الآية: (٦٥).

(١١) سورة الكهف، الآية: (٥٠).

(١٢) سورة التوبة، الآية: (١٢٥).

(١٣) هي قراءة شاذة. ينظر: فتح الوصيد في شرح القصيد (٢/٤٦٩).

(١٤) قال ابن الجزري: "واختلفوا في: (وقوم نوح)، فقرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وخلف: بخفض الميم، وقرأ الباقون: بنصبها". النشر في القراءات العشر (٢/٣٧٧)

﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ۝٤٧ وَٱلۡأَرۡضَ فَرَشۡنَٰهَا فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ ۝٤٨ وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ۝٤٩ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٥١ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ۝٥٢ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ۝٥٣ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ ۝٥٤ وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٥٥﴾ [الذاريات: ٤٧ - ٥٥].

الأيد: القوة، وكذا عن ابن عباس[١]، ومعناه: رفعناها، والبناء: كل ما رفع، و(الموسِع): القادر، أي: ذو وسع، لا تلحقه مشقة، ولا يتكلف ما يفعل، وقدرته تسع أضعاف ذلك، و(الزوج): الصنف، وكذا عن ابن عباس صنفين من الأشياء، فيدخل فيها الألوان من النبات وغيره، وكذلك الذكور والإناث كل واحد منهما زوج، وللزرع، والنخل، وسائر الأشجار لقاح، وإن كنا لا نعرف حقيقته، وكنهه، وتفصيله[٢]، وعن الحسن: السماء والأرض، والليل والنهار، والشمس والقمر، والبر والبحر، والموت والحياة[٣]، حتى عدَّ أشياء، فقال: كل اثنين منهما زوج، غير أن الله تعالى فرد، لا مثل له، وقد ذكرنا أن كل اثنين لا يستغني أحدهما عن صاحبه، فإنه يسمى زوجًا أخبر أن هذا كله ليتفكروا في وحدانيته، وقدرته، ويفروا إليه، وهو التوكل والالتجاء فيما ينوبهم، وقد تقدم في قوله: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾[٤]، ونحو ذلك، أصله البعد عن الشي فرقًا منه، وقد أكثر الناس من القول في معناه، فعن ابن عباس: فروا منه إليه، واعملوا بطاعته[٥]، ثم سائر الأقاويل تفسير لذلك، فروا من عقابه إلى رحمته، ومن عصيانه إلى طاعته، ومن طاعة الشيطان إلى طاعة الرحمن، ومن الجهل إلى العلم، ومن الكفر إلى الشكر، ومن وساوس الشيطان إلى طلب العصمة، ومن المخلوقين إلى الخالق، ومن أنفسكم إليه، ومن الباطل إلى الحق، ونحو ذلك، مما يتسع فيه القول، والحديث: (اللهم إن أعوذ بعفوك من عقابك، وأعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بك منك)[٦]، وقد قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾[٧]، ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾[٨]، ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ

---

(١) ينظر: جامع البيان (٢٢/٤٣٨).

(٢) ينظر: جامع البيان (٢٢/٤٣٩).

(٣) ينظر: الكشاف (٤/٤٠٤).

(٤) سورة الصافات، الآية: (٩٩).

(٥) ينظر: معالم التنزيل (٧/٣٧٩).

(٦) ولفظ مسلم في صحيحه: «اللهم أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أحصي ثناء عليك أنت، كما أثنيت على نفسك». حديث رقم (٤٨٦).

(٧) سورة البقرة، الآية: (١٩٧).

(٨) سورة البقرة، الآية: (٤٠).

ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾[١]، وإنما يتقى به، كما قال ابن عباس، وكذلك قوله: ﴿أَن تَنفُذُواْ﴾[٢]، أكَّد هذا المعنى بقوله: ﴿وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ﴾، أي: أفردوه بالطاعة والفرار إليه، وإنما أعاد: ﴿إِنِّي لَكُم﴾؛ لأنه ذكره مع الأمر، ثم مع النهي[٣]، خوفهم من معصيته وترك طاعته على وجه التأكيد، كما قال عند كل نعمة: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[٤]، وكرَّر: ﴿وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾[٥]، ويقول الواعظ: أعظك أن تفعل كذا، وأنهاك عن كذا، فكذلك قوله: ﴿أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ﴾[٦]، ثم أخبر أن أهل مكة جروا على عادة أمثالهم، وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال على وجه التعجب: كأنه أوصى بعضهم بعضًا بذلك، فاستووا فيه، واشتركوا بما أخبر أنهم لم يتواصوا فيه، ولكنهم اشتركوا في الطغيان، فخرج أمرهم هكذا، ثم أمره بالتولي، وبالتذكير، ومعناه: الإعراض عن مقابلتهم، والانتظار حكم الله بهم لا أن يدع تذكيرهم ودعاءهم إليه، وأنه لا لوم يلحقه إذا لم يجيبوه، كقوله: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ﴾[٧]، ونحو ذلك، وروي أن رسول الله صلى الله عليه حزن لما قال تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ﴾، وخاف أن ينزل العذاب، وخاف أصحابه انقطاع الوحي، فنسخها بآية القتال[٨]، وعن علي عليه السلام أنه لما نزل: ﴿وَذَكِّرۡ﴾ طابت أنفسنا حينئذ[٩]، ثم أخبر أن الانتفاع بالذكرى إنما يكون للمؤمنين، كقوله: ﴿فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾[١٠]، ونحو ذلك وما من وعظ إلا وفيه نفع إما للواعظ إذا صدقت نيته، وإما للموعوظ إذا صادف منه موقعه، وقد يحمل الذكر هاهنا على الفكر، ونظير قوله: ﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ﴾، ثم قال: ﴿وَذَكِّرۡ﴾، قوله: ﴿ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ﴾[١١]، فانظر على ما ذكرنا هناك.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: (٢٨).

(٢) سورة الرحمن، الآية: (٣٣).

(٣) ينظر: الكشاف (٤/٤٠٥).

(٤) سورة الرحمن، الآية: (١٣)، وقد تكرر (٣١) مرة في السورة.

(٥) سورة المرسلات، الآية: (١٥)، وقد تكرر (١٠) مراتب في السورة.

(٦) سورة المؤمنون، الآيتان: (٩٧، ٩٨).

(٧) سورة آل عمران، الآية: (٢٠).

(٨) ينظر: معالم التنزيل (٧/٣٨٠).

(٩) ينظر: جامع البيان (٢٢/٤٤٣).

(١٠) سورة البقرة، الآية: (٢).

(١١) سورة النمل، الآية: (٢٨).

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ٥٨ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ٥٩ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ٦٠﴾ [الذاريات: ٥٦ - ٦٠].

لما أمره بالتذكير أخبر أنه خلق الخلق للعبادة، واختلفوا في هذه (اللام) في العبادة، فمن جعل اللام للإرادة والخلق معنى العبادة، وجعلها على الخصوص في المؤمنين، وهو مذهب اهل السنة والجماعة، ومنهم من حمل العبادة على التوحيد، وذهب إلى أن التوحيد عام، وأن جميع الكفار يوحدون الله، وإن كانوا لا يطيعونه، وهذا لا يصح؛ لأن فيهم من لا يوحِّد، ولا يقربه أصلًا، والسؤال في التوحيد كالسؤال في العبادات، ومنهم من حمله على الأمر، أي: لآمرهم بعبادتي، وأطلبها منهم وأوجبها عليهم، أو إلا وعليهم عبادتي، أو إلا ليكونوا عبادي، وإذا حمل على الأمر ونحوه، فليس لقائل أن يقول حتى يخلقهم، فلا يصلحون للتكليف؛ وذلك لأن الواحد قد يشتري عبدًا صغيرًا، ويقول: ما اشتريته إلا ليخدمني إذا كبر، وقيل: فيه أيضًا ما لينت مفاصلهم إلا ليتأتى بها خدمتي، والمروي عن ابن عباس: إلا ليقروا بالعبودية طوعًا أو كرهًا، واختاره الطبري، وقال هو أوْلى الأقاويل[١]، أي: للتذلل لأمرنا، وقد تذللوا لقضائه لا تقدرون على الامتناع عنه، إنما خالف من كفر به في العمل الذي أمره به، ويؤكد ما ذكره الطبري بأن العبادة في الأصل من الذل على ما ذكرنا في قوله: ﴿عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾[٢]، ونظيره: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ﴾[٣] إلا أن ذلك مع الإضافة والتعدية ليس بظاهر، وقد روي عن علي ما ذكرنا من الأمر، أي: لآمرهم أن يعبدون[٤]، ويؤكد ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾[٥]، وعن مجاهد: أي ليعرفوني[٦]، وعن الضحاك هذا خاص[٧]، وعن عكرمة: فأثيب العابد، وأعاقب الجاحد[٨]، وعن الحسين بن الفضل[٩]: هو الاستعباد الظاهر، كقوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[١٠]،

---

(١) ينظر: جامع البيان (٤٤٥/٢٢)

(٢) سورة الأعراف، الآية: (١٩٤).

(٣) سورة الرعد، الآية: (١٥).

(٤) ينظر: معالم التنزيل (٧٨٠/٧).

(٥) سورة البينة، الآية: (٥).

(٦) ينظر: معالم التنزيل (٧٨٠/٧).

(٧) ينظر: زاد المسير (١٧٣/٤).

(٨) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٥٦/١٧).

(٩) هو الحسين بن حفص بن الفضل بن يحيى بن ذكوان الهمداني، أَبو مُحَمَّد الأصبهاني، وهو من ناقلة الكوفة، وهو الذي نقل علم الكوفيين إلى أصبهان، وأفتى بمذهبهم، كان إليه القضاء والرياسة والفتوى والعدالة بأصبهان، (ت٢١٢هـ). تهذيب الكمال (٣٦٩/٦).

(١٠) سورة النحل، الآية: (٧٨).

ثم قال: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾[١]، وعن الكلبي: إلا ليوحدوني[٢]، وقد يروى في قراءة ابن عباس: (وما خلقت الجن والإنس من المؤمنين)[٣]، وهذا يؤكد ما ذكرنا من الخصوص، وذكر أبو القاسم بن حبيب[٤] أنه لم يخلقهم للعبادة خلق جِبلة وإجبار، كما خلقهم عليه من الصور والهيئات، وإنما خلقهم خلق تكليف[٥]، ثم أخبر تعالى أنه إن كان أمرهم بخدمته فقد كفاهم ما يحتاجون إليه، وأنه لا منفعة له، ولا حاجة في خلقهم، كقوله: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾[٦]، على ما قيل في ذلك، وقوله: ﴿مَآ أُرِيدُ مِنْهُم﴾ يحتمل: أني لا أحتاج إلى رزقهم أن يرزقوني، ولا يجوز ذلك عليَّ، كقوله: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾[٧]. وقد حُمل الرزاق على الجَعل، والآخر على الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم، كقوله: ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾[٨]، ويحتمل: ما أريد منهم أن يرزقوا أنفسهم، ولا أحدًا ممن في عيالهم، ولا أستعين بهم على ذلك، وقوله: ﴿يُطْعِمُونِ﴾ على هذا أيضًا؛ لأن إطعام عباده كإطعامه لو جاز ذلك عليه على ما ذكرنا، يؤذون الله: يحاربون الله، وكذلك في الحديث: «سألتك فلم تعطني»[٩]، وكذا عن الحسن: ما أريد أن ترزقوا أحدًا من خلقي أو تطعموه[١٠]، وعن الفراء نحوه: ما استعين بهم[١١]، ثم أخبر أنه الغني المعطي (القوي) على ما يريد، و(المتين)

---

(١) سورة سبأ، الآية: (١٣).

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٥٦/١٧).

(٣) ذكر ابن عطية هذه القراءة، وهي شاذة. المحرر الوجيز (١٨٣/٥).

(٤) العلامة أبو القاسم، الحسن بن محمد بن حبيب بن أيوب، النيسابوري، المفسر الواعظ، صاحب كتاب: "عقلاء المجانين"، سمع: أبا العباس الأصم، ومحمد بن صالح بن هانئ، وأبا حاتم بن حبان، وعدة. وعنه: محمد بن عبد الواحد الحيري الواعظ، ومحمد بن إسماعيل الفرغاني، وجماعة. وصنف في التفسير والآداب، (ت٤٠٦هـ). سير أعلام النبلاء (٣٨/١٣).

(٥) ذكر الثعلبي هذا المعنى دون نسبته إلى أبي القاسم. الكشف والبيان (١٢١/٩).

(٦) سورة الفرقان، الآية: (٧٧).

(٧) سورة الأنعام، الآية: (١٤).

(٨) سورة الشعراء، الآية: (١٠٩).

(٩) جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم مرضت فلم تعدني، قال: يا رب كيف أعودك؟ وأنت رب العالمين، قال: أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده، أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده؟ يا ابن آدم استطعمتك فلم تطعمني، قال: يا رب وكيف أطعمك؟ وأنت رب العالمين، قال: أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان، فلم تطعمه؟ أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي، يا ابن آدم استسقيتك، فلم تسقني، قال: يا رب كيف أسقيك؟ وأنت رب العالمين، قال: استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أما إنك لو سقيته وجدت ذلك عندي»، حديث رقم (٢٥٦٩).

(١٠) ذكر الماوردي هذا المعنى دون نسبته إلى الحسن. ينظر: النكت والعيون (٣٧٥/٥).

(١١) معاني القرآن، للفراء (٩٠/٣).

الشديد، وهذه صفة للقوة، وإن كان بحذف الهاء إذا كان بكسر النون على المعنى؛ لأنه الخيط والحبل المفتول؛ ولأن تأنيثها ليس بحقيقي(١)، فأما الرفع النعت لله تعالى، وقد يجعل بالكسر أيضًا للجواز(٢)، وقد يُجعل هذا كله (القوي)، و(المتين) في أسمائه تعالى مجازًا(٣)، قال القاضي أبو عاصم: في (القوي) لو لم يجيء القرآن في صفاته لم يجز، ثم عقب تعالى ذلك بما فيه تسلية وتهديد، و(الذَّنُوب) الدلو العظيمة، فيها الماء تتبع بعضها بعضًا، أي: لهم نصيب من العذاب بعد العذاب، وسيحل بهم ما حل بأمثالهم على ما ذكر في مواضع، وإنما كسر النون؛ لأن الياء محذوفة، وقوله: ﴿مِن يَوۡمِهِمُ﴾ قد يحمل على يوم بدر، وعلى يوم القيامة أو على الموت، وكل وقت ينزل العذاب فيه.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وفي ختام هذا البحث أورد أبرز النتائج والتوصيات.

أبرز نتائج البحث:

١ – جمع البقالي في تفسيره بين النقل والعقل، والتعرض للقراءات، والاستشهاد بالأحاديث، والشعر.

٢ – كان البقالي يفسر القرآن بالقرآن وبالسنة، وبأقوال الصحابة والتابعين، وقد أكثر من نقل أقوالهم.

٣ – كان البقالي إمامًا في التفسير، واللغة، فقد حوى تفسيره علومًا شتى، وهذا دليل على سعة علمه.

٤ – لم يخل تفسير البقالي من التأثر بشيخه الزمخشري في بعض مسائل العقيدة فقد نحا نحوه.

٥ – اهتمام البقالي بالنقل عن الصحابة والتابعين في تفسيره.

التوصيات:

حث الباحثين على محاولة البحث عن بقية تفسير البقالي في خزائن المخطوطات، وتحقيقه، ودراسة جميع المواضيع التي طرقها، أسباب النزول، والقراءات، واللغة.

---

(١) ينظر: معاني القرآن، للفراء (٣/٩٠).

(٢) ينظر: إعراب القرآن، للنحاس (٤/١٦٨).

(٣) هذا خلاف مذهب أهل السنة قال الدرامي: "ونحن قد عرفنا بحمد الله تعالى من لغات العرب هذه المجازات التي اتخذتموها دلسة وأغلوطة على الجهال، تنفون بها عن الله حقائق الصفات بعلل المجازات، غير أنا نقول: لا يحكم للأغرب من كلام العرب على الأغلب، ولكن نصرف معانيها إلى الأغلب حتى تأتوا ببرهان أنه عنى بها الأغرب، وهذا هو المذهب الذي إلى العدل والإنصاف أقرب، لا أن تعترض صفات الله المعروفة المقبولة عند أهل البصر فنصرف معانيها بعلة المجازات إلى ما هو أنكر، ونرد على الله بداحض الحجج وبالتي هو أعوج، وكذلك ظاهر القرآن، وجميع ألفاظ الروايات تصرف معانيها إلى العموم، حتى يأتي متأول ببرهان بين أنه أريد بها الخصوص؛ لأن الله تعالى قال: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ﴾ [الشعراء: ١٩٥]". نقض الدارمي على بشر المريسي (٢/٨٥٦).

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف. *"النشر في القراءات العشر"*. تحقيق: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى: القاهرة.

ابن الساعي، علي بن أنجب بن عثمان. *"الدر الثمين في أسماء المصنفين"*. ط١، دار الغرب الإسلامي: بيروت، (١٤٣٠هـ).

ابن المستوفي، مبارك بن أحمد الإربلي. *"تاريخ إربل"*. وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر: العراق، (١٩٨٠م).

ابن دريد، محمد بن الحسن الأزدي. *"جمهرة اللغة"*. ط١، دار العلم للملايين: بيروت، (١٩٨٧م).

ابن عطية، عبد الحق بن غالب المحاربي الأندلسي. *"المحرر الوجيز"*. دار الكتب العلمية: بيروت.

ابن قاضي شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر. *"طبقات فقهاء الشافعية"*. تحقيق: الحافظ عبد العليم خان، ط١، عالم الكتب: بيروت، (١٤٠٧هـ).

ابن كثير، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري. *"تفسير القرآن العظيم"*. ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع: الرياض، (١٤٢٠هـ).

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي. *"لسان العرب"*. ط٣، دار صادر: بيروت، (١٤١٤هـ).

ابن ناصر الدين، محمد بن عبد الله أبي بكر الدمشقي. *"توضيح المشتبه"*. ط١، مؤسسة الرسالة: بيروت، (١٩٩٣م).

الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله. "حلية الأولياء وطبقات الأصفياء"

الألباني، محمد ناصر الدين. *"ضعيف الجامع الصغير وزيادته"*. المكتب الإسلامي: بيروت.

البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم. *"التاريخ الكبير"*. الناشر: دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد: الدكن.

البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم. *"صحيح البخاري"*. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، دار طوق النجاة: بيروت: (١٤٢٢هـ).

البغدادي، إسماعيل بن محمد أمين. *"هدية العارفين"*. وكالة المعارف الجليلة: إسطنبول، (١٩٥١م).

البغوي، الحسين بن مسعود. *"معالم التنزيل"*. ط٤، دار طيبة: الرياض، (١٩٩٧م).

البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد. *"أنوار التنزيل وأسرار التأويل"*. تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط١، دار إحياء التراث العربي: بيروت، (١٤١٨هـ).

الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة. *"سنن الترمذي"*. تحقيق: أحمد محمد شاكر، وآخرين، ط٢، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي: مصر، (١٩٧٥م).

الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل. *"فقه اللغة وسر العربية"*. تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط١، دار إحياء التراث العربي: بيروت، (١٤٢٢هـ).

الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم. *"الكشف والبيان عن تفسير القرآن"*. ط١، دار إحياء التراث العربي: بيروت، (١٤٢٢هـ).

الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد. *"زاد المسير في علم التفسير"*. تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط١، دار الكتاب العربي: بيروت، (١٤٢٢هـ).

حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله، المعروف. *"سلم الوصول إلى طبقات الفحول"*. مكتبة إرسيكا: إسطنبول، (٢٠١٠م).

حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله. *"كشف الظنون"*. مكتبة المثنى: بغداد، (١٩٤١م).

الحافظ، أحمد حمدي. *"الدول الخوارزمية والمغول"*. ط١، دار الفكر العربي: القاهرة.

الحاكم، محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري. *"المستدرك على الصحيحين"*. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، دار الكتب العلمية: بيروت، (١٩٩٠م).

الحموي، ياقوت بن عبد الله. *"معجم الأدباء"*. ط١، دار الغرب الإسلامي: بيروت، (١٩٩٣م).

الحميري، محمد بن عبد الله بن عبد المنعم. *"الروض المعطار"*. ط٢، مؤسسة ناصر للثقافة: بيروت، (١٩٨٠م).

القرشي، أبو محمد عبد القادر بن محمد. *"الجواهر المضية في طبقات الحنفية"*. مير محمد كتب خانه، كراتشي.

الدارمي، أبو سعيد عثمان بن سعيد. *"نقض الإمام أبي سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد"*. ط١، مكتبة الرشد: الرياض، (١٤١٨هـ).

الداوودي، محمد بن علي بن أحمد. *"طبقات المفسرين"*. راجعه لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية: بيروت.

الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان. *"تاريخ الإسلام"*. تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي: بيروت، (١٤٢٤هـ).

الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان. *"سير أعلام النبلاء"*. تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، ط٣، مؤسسة الرسالة: بيروت: (١٩٨٥م).

الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان. *"المشتبه في أسماء الرجال"*. ط١، مطبعة بريل: ليدن، هولندا، (١٨٨١م).

الفخر الرازي، محمد بن عمر بن الحسن التيمي. *"مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير"*. ط٣، دار إحياء التراث العربي: بيروت، (١٤٢٠هـ).

الزمخشري، محمود بن عمر بن أحمد. *"الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل"*. ط٣، دار الكتاب العربي: بيروت، (١٤٠٧هـ).

الزيلعي، عثمان بن علي البارعي الحنفي. *"حاشية تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق"*، حاشية شهاب الدين أحمد بن محمد الشلبي، ط١، المطبعة الكبرى الأميرية: بولاق، القاهرة، (١٣١٣هـ).

السخاوي، علي بن محمد. *"فتح الوصيد في شرح القصيد"*. تحقيق: أحمد الزعبي، ط١، مكتبة دار البيان: الكويت، (٢٠٠٢م).

السغناقي، حسين بن علي الحنفي: *"النهاية في شرح الهداية شرح بداية المبتدي"*. مركز الدراسات الإسلامية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى: مكة المكرمة، (١٤٣٨هـ).

السمعاني، منصور بن محمد بن عبد الجبار. *"تفسير القرآن"*. تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، ط١، دار الوطن: الرياض، (١٩٩٧م).

السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور. *"الأنساب"*. تحقيق: عبد الرحمن المعلمي اليماني وغيره، الناشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد: الدكن.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. *"بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة"*. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية: صيدا.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر. *"طبقات المفسرين"*. ط١، مكتبة وهبة: القاهرة، (١٣٩٦هـ).

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك. *"الوافي بالوفيات"*. دار إحياء التراث: بيروت، (١٤٢٠هـ).

الطبري، محمد بن جرير بن يزيد الآملي. *"جامع البيان عن تأويل آي القرآن"*. ط١، مؤسسة الرسالة: بيروت، (١٤٢٠هـ).

الفراء، يحيى بن زياد الديلمي. *"معاني القرآن"*. ط١، دار المصرية للتأليف والترجمة: مصر.

القحطاني، ممدوح. *"محمد بن أبي القاسم البقالي (ت٥٦٢هـ)، ومعالم منهجه في الموجود من تفسيره مفتاح التنزيل"*. *مجلة تبيان للدراسات القرآنية*، العدد ٣٩، ٢٠٢١، ص ١٨٩-٢٨٥.

القرطبي، محمد بن أحمد بن فرْح الأنصاري. *"الجامع لأحكام القرآن"*. ط٢، دار الكتب المصرية: القاهرة، (١٩٦٤م).

القزويني، محمد بن يزيد بن ماجه. *"سنن ابن ماجه"*. تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وآخرين، ط١، دار الرسالة العالمية، (٢٠٠٩م).

القشيري، مسلم بن الحجاج النيسابوري. *"صحيح مسلم"*. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي: بيروت، (١٤٢٠هـ).

كي لسترنج. *"بلدان الخلافة الشرقية"*. ترجمة: بشير فرنسيس، كوركيس عواد، ط٢، مؤسسة الرسالة: بيروت، (١٩٨٥م).

اللكنوي، محمد عبد الحي. *"الفوائد البهية في تراجم الحنفية"*. ط١، مطبعة السعادة: القاهرة، (١٣٢٤هـ).

الماوردي، علي بن محمد بن حبيب البصري. *"النكت والعيون"*. دار الكتب العلمية: بيروت.

مركز الملك فيصل، *خزانة التراث*. *"فهارس المخطوطات الإسلامية في المكتبات والخزانات ومراكز المخطوطات في العالم"*. نبذة: تتضمن معلومات عن أماكن وجود المخطوطات وأرقام حفظها في المكتبات والخزائن العالمية، الرياض.

المِزّي، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف. *"تهذيب الكمال في أسماء الرجال"*. تحقيق: بشار عواد معروف، ط١، مؤسسة الرسالة: بيروت، (١٩٨٠م).

المكي، مجاهد بن جبر المكي. *"تفسير مجاهد"*. تحقيق: محمد عبد السلام أبو النيل، ط١، دار الفكر الإسلامي الحديثة: مصر، (١٤١٠هـ).

مؤنس، حسين. *"أطلس تاريخ الإسلام"*. الزهراء للإعلام العربي: القاهرة، (١٩٨٧م).

النحّاس، أحمد بن محمد بن إسماعيل. *"إعراب القرآن"*. ط١، دار الكتب العلمية: بيروت، (١٤٢١هـ).

النعماني، محمود بن أحمد بن عبد العزيز بن مازة. *"المحيط البرهاني في الفقه النعماني"*. ط١، دار الكتب العلمية، بيروت: (١٤٢٤هـ).